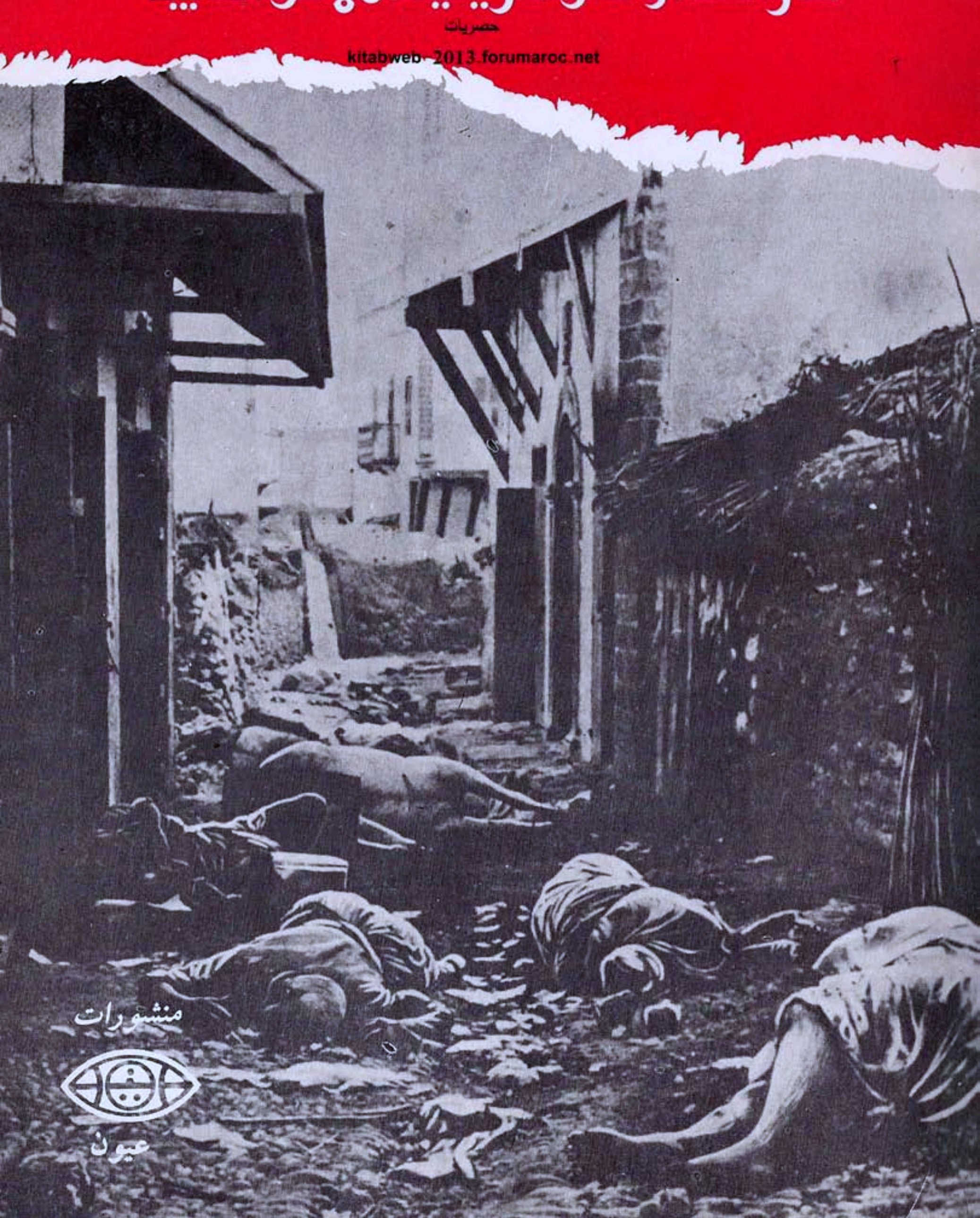
أحمد زيادي

إنتفاضة الشاوية

سنة 1907

دراسة، وثائق تاريخية، ملاحق أدبية



منشورات عيون

إنتفاضة الشاوية

سنة 1907

دراسة، وثائق تاريخية، ملاحق أدبية

انتفاضة الشاوية سنة 1907

تأليف: أحمد زيادي
الطبعة الاولى الدار البيضاء ـ 1986
الايداع القانوني 86/473
الناشر: عيون المقالات: ص ب 6714 سيدي عثمان الدار البيضاء
المطبعة دار قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع ـ الدار البيضاء.

أحمد زيادي

إنتفاضة الشاوية

سنة 1907

دراسة، وثائق تاريخية، ملاحق أدبية



الإهداء

إلى شهداء الدين و الوطن
في معارك المقاومة و التحرير و الوحدة
الذين بنوا بأجسادهم الطاهرة
حصونا و قلاعا منيعة، و
شيدوا بأرواحهم المقدسة قوة
المغرب و عزته، و أجروا دماءهم
الزكية بحارا فوارة تغرق كل
المعتدين.

أحمد زيادي

مقدمـــــة

يزخر تاريخ المغرب الحديث بأحداث وطنية هامة، لو أتيح لها أن تدرس دراسة معمقة ونزيهة، لخلصت نفوس الناشئة من سلطان الكثير من المعلومات المغلوطة الشائعة التي روجها المؤرخون عن حسن نية أو عن سوئها. ولأيقظت لديها الوعي الصحيح بحركة التاريخ، والتبصر الواعي بوقائعه، والتتبع اليقظ لتقلباته، ولأعادت إليها الثقة بالنفس، والاعتزاز بالماضي، والايمان بالمستقبل.

وتعتبر انتفاضة الشاوية وأحداث الدار البيضاء سنة 1907، من الوقائع الحاسمة في تاريخ المغرب الحديث.

يقول المؤرخ عبد الرحمن بن زيدان : «واقعة الدار البيضاء التي هي من أعظم الوقائع الشنيعة المفتتة للكبد، القاضية على قوى المغرب المادية والأدبية بالوهن والانقضاء.»

ويقول المؤرخ محمد بن عبود : «كانت مأساة الدار البيضاء من أعظم المآسي التي شاهدها تاريخ المغرب. »

وقد وقعت هذه الأحداث بعد حوالي سنة من انعقاد مؤتمر الجزيرة الخضراء، في فترة اشتد فيها تكتل قوى الاستعمار، واتسعت دائرة تآمرها من أجل غزو إفريقيا وآسيا بحثا عن المواد الخام وعن الأسواق الجديدة والأيدي العاملة الرخيصة، وازداد تهافت فرنسا وإسبانيا على المغرب، وخاصة فرنسا التي كانت قد احتلت مدينة وجدة في الشرق منذ أربعة أشهر، وتطلعت إلى إيجاد ثغرة على الساحل الغربي تحكم بها شد الخناق على المغرب، ثم تتسرب منها، بيسر وسهولة، إلى قلبه النابض (مراكش وفاس والأطلس) وأطرافه الحيوية في الجنوب والشرق والشمال.

وتعتبر انتفاضة الشاوية حدثا وطنيا بارزاً استقطب الرأي العام المغربي قاطبة، بل وشهد تضامن الشعب المغربي على اختلاف فصائله العرقية والاجتماعية والثقافية مع قبائل الشاوية في جهادها البطولي دفاعاً عن الدار البيضاء، وصموداً أمام الزحف الاستعماري الفرنسي.

وإن الذي دعاني إلى الاهتمام بهذا الموضوع هو وصف بعض المؤرخين لرجال الشاوية بأوصاف دنيئة، سلبتهم كل صفات المواطنة وحقوقها وواجباتها، واعتبرتهم جهالًا ورعاعاً واخلاطا وأوباشا وسفهاء وسخفاء ومتهورين....الخ، ونعتوا انتفاضتهم نعوتا مهينة جردتها من كل قيمها الوعيوية والوطنية والانسانية، وفصلتها عن دواعيها السياسية والاجتماعية، وأصولها التاريخية، وجعلتها مجرد فوضى أخلاط لا يتدبرون العواقب.

وإذا كان لا ينتظر من المؤرخين الاستعماريين وأذنابهم الإنصاف والنزاهة فإنني، بعد أن اطلعت على ما كتبه عبد الرحمن بن زيدان عن احتلال الدار البيضاء، وحركة المقاومة في الشاوية، أصبت بخيبة كبيرة، ووقفت على مدى تحكم المنصب الاجتماعي والسياسي للمؤرخ في ما يرويه من أخبار، وما يصدره من أحكام. وعلى مدى انجذابه نحو الزاوية الرسمية في تتبعه للوقائع والأحداث، وتلوينه لها بألوان ترضي كل المتورطين فيها ما عدا الشعب الذي يحاول باستمرار وبمشقة صنع تاريخه بنفسه، فلا يجد إلا من يعرقل مساعيه، ويقلم أظافره، وينزع أنيابه، ويشوه حركته، ويسفه أهدافه، ويسلبه كل فضل، ويحمله كل التبعات.

لقد قال ابن زيدان بشأن حادثة الدار البيضاء : «ولقد كان لهذه الحادثة الحالكة دوي ورنة في العالم، تناقلتها ألسنة الجرائد الرائجة في ذلك العصر، عربية وعجمية، وذهب الكتاب في أسبابها كل مذهب، كل حسب أغراضه الشخصية، ومغامزه السياسية، والحقيقة وراء جل ما حبّروا وخبروا.»

والحق أن هذه القولة ليست تمهيداً للجهر بالحقيقة، وليست رسما للاطار الذي ينبغي أن توضع فيه، ولكنها تبرير تمويهي لاخفائها، وتعليل ديماغوجي لتشويهها.

وقد حاولت، في أول الأمر، جمع أخبار هذه الحادثة، وما قيل فيها من قصائد وأزجال وخطب وكتابات من أفواه من شهدها عياناً، أو سمع عنها في حينها

أو عاشها من قريب أو بعيد، أو احتفظ ببعض وثائقها، بيد أني لم أتمكن من إنجاز الشيء الكثير من ذلك، فالموت اختطف جل جيل أوائل هذا القرن، والنسيان وتراخي الزمان تلاعبا بذاكرات الشيوخ، والوثائق النفيسة تناقلتها الأيدي فانتهت إلى من لا يقدرها قدرها ولا ينزلها منزلتها، فضاعت.

وما بقي عالقاً بأذهان بعض الشيوخ من نتف متفرقة، مبتور وقاصر عن إعطاء فكرة صادقة وواضحة عن الحقيقة.

فقد ذكر لي بعض الشيوخ أن الناس كانوا يتغنون بأزجال كثيرة تصور أحداث الدار البيضاء وجهاد الشاوية وبطولاتهم، لكنهم لم يذكروا لي غير أبيات متفرقة، مثل :

يومك يا سطات … ما نخرنا ما عيدنا[1]
نهار فم الدير … تَّا من عريوات شبعوا بغرير[2]
ملِّي دخلوا الكفار … دخلوا لولاد سعيد
البوعزاوي[3] مسكين … وحدو هارب بالدين[4]
لحق لمراكش … وجاهد في الدين
عادوا يمشوا اعدو … محلا بمحلا
سكن في البهجة … سكن في قبة خضرا
ماريدو[5] مسجونين … البريوطة هلكتهم[6]

وهكذا يتضح أن الحاجة تدعو بإلحاح إلى الاهتمام بتاريخنا الحديث، والتعجيل بجمعه وبدراسته قبل أن تندثر معالمه وتنمحي آثاره، وتتلاشى شواهده، ويتحول إلى أخبار محنطة مسجاة في كتب التاريخ الرسمية والمغرضة، تزيف الماضي وتبخس الأجداد حقوقهم، وتسفه بطولاتهم وتنفث سموم الوهن في عزائم الشباب.

لقد كان من وراء تأليف هذا الكتيب طموح علمي خالص، وغيرة وطنية صادقة بعيدة عن كل تعصب إقليمي ضيق.

وهذا الكتيب يعنى أساسا باستقراء الاسباب الحقيقية للانتفاضة، واستجلاء ظروفها واستشفاف أجوائها، واستطلاع أصدائها، لذلك جعلته في قسمين :

في القسم الاول درست أسباب الانتفاضة وعواملها المحلية والوطنية وإرهاصاتها، وأشرت إلى أهم وقائعها، وكشفت عن الجوانب الوطنية فيها، واستعرضت أهم نتائجها الايجابية والسلبية.

وفي القسم الثاني أثبتت بعض الوثائق التاريخية المفيدة، وملاحق أدبية فصيحة وشعبية نادرة تساعد القارىء على استكمال معرفته حول الانتفاضة.

والله أسأل التوفيق والعون

أحمد زيادي

الدار البيضاء في رمضان 1405

الموافق ليونيو 1985

(1) صادف دخول قوات الاحتلال الفرنسي لمدينة سطات يوم عيد الاضحى.

(2) فم الذير : موضع، قرب التل المطل على سطات وهو مدخلها الغربي من جهة الدار البيضاء.

(3) البوعزاوي : الشيخ محمد بن الطيب الشاوي (توفي في مراكش عام 1332 / 1914)، صوفي مجاهد قاوم الاحتلال الفرنسي للشاوية.
من آثاره :
— المريد في منهل أهل التجريد.
— النحو المطلوب في شمائل النبي المحبوب.
— الرد على الشيخ محمد الكتاني.

الأعلام 6 /178

(4) حينما احتل الفرنسيون المنطقة، نجا البوعزاوي بدينه فالتجأ إلى مراكش.

(5) ماريدو : مريدوه.

(6) اعتقل أتباعه ومريدوه وعوقبوا بتعبيد الطرق.

* تا من : حتى...

* عريوات : المحتقرون الذين لايقوون على تحمل أية مسؤولية.

* بغرير : رغيف مثقب غالبا ما يصنع أيام الاعياد والحفلات.. ذلك أن الرجال اشتغلوا بالجهاد، وأكل «البغرير» من لا يستحقه من التافهين.

1 ـــ الانتفاضـــة، تاريخيـــا

أسبـاب الانتفاضــة

يبدو أن الانتفاضة الشعبية لقبائل الشاوية، التي شهدتها الدار البيضاء سنة 1907، لم تكن وليدة الصدفة، ولا نتيجة سبب واحد معين من تلك الاسباب الظاهرة[1] التي رواها المؤرخون،[2] مثل نَبْش عمال «الشركة المغربية» ـــ وهي شركة فرنسية، أوكل إليها السلطان المولى عبد العزيز بناء مرفأ الدار البيضاء سنة 1905، تطبيقا لشروط دين فرنسي ـــ لرفات مقبرة إسلامية قديمة مجاورة للمرفأ (ولعلها مقبرة سيدي أبي الليوث المدعو عند العامة بسيدي بليوط.)، واتخاذها مستودعاً لآلاتها وأدواتها، وميدانا لاشغالها[3]. والاعتداء على أملاك بعض المواطنين[4]. ومد السكة الحديدية[5]، لجلب أحجار الردم وما أثاره ذلك من خوف وغضب وسخط في نفوس سكان القبائل القريبة من المدينة، التي اخترق القطار أراضيها، إذ اعتبروا هذا الإجراء رمزاً لاستيلاء الكفار على البلاد، واحتسبوا صفاراته استفزازاً وتحديا،[6]، وإهانة لهم.[7]. وإصدار المخزن، في تلك الاثناء، لامره بجلوس المراقبين الاجانب بديوانات المغرب ـــ ومن جملتها ديوانة الدار البيضاء ـــ مع الامناء المغاربة؛ لاستخلاص ديون بلادهم مباشرة.[8].

ذلك لان جلوس المراقبين الاجانب إلى جانب الامناء المغاربة لا ينهض بمفرده ليكون سببا لتلك الاحداث العنيفة، فقد صار هذا الواقع الجديد عاديا بالنسبة للمغاربة، رغم تقززهم ونفورهم منه، منذ موقعة تطوان سنة 1860.

يقول السلطان المولى عبد العزيز : «لان جلوس هذا المراقب مع من ذكر (يقصد الامناء) تقدمت له نظائر عديدة من عهد سيدنا الجد رحمه الله (محمد بن عبد الرحمان بن هشام)، وفي حياة سيدنا المقدس بالله، (الحسن الاول)»[9].

وتجدد هذا الواقع القهري سنة 1904، حين شرع المراقبون الفرنسيون، وفقا لشروط الدين المبرم في هذه السنة، يشرفون على الجمارك المغربية، بما فيها جمرك

الدار البيضاء. حقا لقد كان هذا الإجراء «سبباً في إثارة السكان والسلطات المخزنية المحلية»[10] في تلك السنة، لكن الثورة ما لبثت أن خمدت.

كما أن أشغال «الشركة المغربية» ابتدأت منذ سنة 1905، ولا يعقل أن يكون رد الفعل الشعبي، على ما ترتب عنها من نبش المقبرة، ومد الخط الحديدي، وانتهاك حرمات الاراضي، واستفزاز أهلها، قد كمن طيلة سنتين، بدون أي مبرر داخلي أو خارجي. ثم إن خروقاً إدارية وقانونية كهذه كان من الممكن، لو كانت هي الاسباب الحقيقية، أن تعالج بالاساليب الإدارية والطرق الديبلوماسية المعهودة.

إن تلك الانتفاضة الشعبية إذن، لم تكن عملًا فوضويا ولا اندفاعا عشوائياً، ولا عصيانا طارئا، وإنما كانت إحساسا جماعيا تلقائيا متأصلا بالخطر، ووعيا متأصلا وصادقا بحقيقة الواقع، وصرخة وطنية مخلصة منذرة بالمأساة.

ومما يثبت ذلك أنه في أبريل من نفس السنة، أي قبل الانتفاضة، وقبل الاحداث الدامية بأكثر من أربعة شهور «تجمع عدد كبير من القبائل حول المدينة»[11] مما يمكن اعتباره مخاضاً لرد الفعل الشعبي، وإنذاراً للمخزن المنحل لتدارك الموقف قبل فوات الاوان.

ولم تكن القبائل المحيطة بالدار البيضاء معزولة سياسياً عن بقية فئات المجتمع المغربي، فقد كانت تؤيدها في موقفها من المراقب الجمركي الفرنسي السلطات المحلية المخزنية نفسها،[12] يقول محمد خير فارس : «وبدأ الصدام بين الافرنسيين والاهالي الذين انضم إليهم الجنود المخزنية»[13].

كما كان أمناء الجمرك وأعيان المدينة مساندين لها بل ومتضامنين معها في إنذارها للحاكم[14] بوبكر بن بوزيد، وأمره بوجوب توقيف أشغال الميناء، وإزالة الخط الحديدي، والحيلولة بين المراقب الفرنسي وبين جمرك الدار البيضاء.[15]

بل كان في رجال الفكر الاروبيين الاحرار من يعارض عمل فرنسا على تازيم الوضع في الدار البيضاء، مثل عصبة المثقفين بطنجة التي ما أن علمت بتوجه الباخرة الحربية (دوشيلة)، على عجل، إلى هناك حتى بادرت إلى دعوتها إلى الرجوع.[16]

وكان بين المسؤولين المخزنيين الكبار من يعارض الإصلاحات الجديدة التي كان يتخذها المستعمر الأروبي مطية لتحقيق أهدافه الاستعمارية البعيدة، ويميل إلى

المقاومة الشعبية للتغلغل الأجنبي بإعلان الجهاد، ولا يدخر جهدًا في استمالة السلطان إلى نهجها، مثل رئيس الوزراء فضول غرنيط، وقائد المشور إدريس بن يعيش[17]

وهكذا، فانتفاضة الدار البيضاء تعود إذن إلى عدة عوامل منصهرة في بوتقة واحدة، يلتبس فيها كره الأجنبي Xenophobie[18] بحب الوطن Patriotisme، ويصطبغ فيها العامل السياسي بالعامل النفسي، ويتلون فيها الوعي الوطني المبكر بالعاطفة الدينية الراسخة،[19] ويلتحم فيها العنصر الاجتماعي بالتلقائية الفطرية. وقد كانت هذه العوامل تعمل مجتمعة، سراً وعلانية، بصفة مباشرة وغير مباشرة في تصعيد الحنق والغضب الشعبيين على سياسة المخزن، وتصرفات ممثليه التي رمت بالمغرب إلى الدرك الأسفل، مما جعله، وهو البلد الحر الأبي، الذي لم تدنس أرضه قدم أجنبية منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً، تلك الأرض «التي كانت أصعب منالا على الأجانب من الصين نفسها»[20]، يقع بسهولة في يد المستعمر الأوربي، لذلك يقول محمد خير فارس «كانت حوادث الدار البيضاء مظهراً من مظاهر القلق والنقمة الذي سببه التدخل الأجنبي في شؤون المغرب»[21].

ويمكننا تقسيم العوامل التي أذكت نيران هذا القلق، وأججت لظى هذه النقمة الشعبية العارمة، ثم فجرتها في تلك الانتفاضة، إلى قسمين :

1 ــ العوامل المحلية الخاصة :

ــ كانت الوضعية في الدار البيضاء قد تأزمت وأصبحت خطيرة، بسبب منافسة الأعيان لبعضهم البعض. وكان قائد الدار البيضاء ومديونة بوبكر بن بوزيد السلوي قد خلف الحاج حمو الذي كان ابنه قائد أولاد حريز، قد اغتاظ من هذا التعيين، وعمل بطبيعة الحال على إيقاظ جميع أعداء بوبكر الممكنين، وعلى البحث عن طريقة لاظهار عدم كفاءته. ونظم غارات حول المدينة، وسارع إلى فاس، العاصمة آنذاك، طاعنا في كفاءة خصمه، مشككا في قدرته على قبض زمام النظام.

وفي غيبة المخزن اقتنعت الهيأة القنصلية بالدار البيضاء، بوجوب إخبار السفراء في طنجة بالوضعية، فأعلنوا بإجماع طرد القائد[22].

ـــ في يوم 27 ماي 1907 تمرد جنود مدينة الدار البيضاء لعدم تقاضيهم لأجورهم ولمؤونتهم، واحتلوا محلات الجمرك، وظلوا ينتهبونها حتى وافق الأمناء على منحهم تسبيقا لما يستحقون. وحتى 8 يونيو لم يكونوا قد نالوا أجورهم بعد، فشنوا إضرابا لمدة يومين، وبعثوا بوفد إلى القنصل الفرنسي الذي وفق في نيلهم أجر الشهر الأخير[23].

ـــ انتشار المجاعة والقحط في منطقة الشاوية منذ أكثر من سنتين، وازدياد حدتها خلال سنتي 1905 و1906، فندرت الحبوب، وبلغ التضخم المالي أوجه، وارتفعت الأسعار تبعاً لذلك، واتسعت دائرة البطالة، ومات الناس جوعاً، وفتك التيفوس والجذري وغيرهما من الأوبئة الخطيرة، بالسكان فتكا ذريعاً، وتوقفت الصفقات[24].

ـــ تغلغل النفوذ الالماني وتزايد تأثيره، وخاصة تأثير المصرفي (مانسيمان) الذي جال في هذه الاثناء بلاد الشاوية محاولا شراء الاراضي.

وقد أهاج الالمانيون رجال الشاوية بما أشاعوه من أخبار، مستغلين فيها بعض مظاهر التدخل الاجنبي، «بأن السلطان قد باع البلاد للفرنسيين، الذين بعد أن حازوا الجمرك والميناء، بنوا سكة حديدية لغزو المغرب.»[24]

ـــ يرى صاحب (المفاكهة) أن السلطان المولى عبد العزيز كان يبغض أهل الشاوية : «وما نظر إليهم قط بنظرة رضا، بل ما كان يسميهم الا بالفساد والنهاب، ويغري عليهم من بجوارهم من القبائل لسبي ذراريهم، وتشتيت أموالهم.»[25]

وقد نتساءل عن سبب هذا، فتتبادر إلى أذهاننا ثورة الاعشاش (مزاب) التي رافقت بداية تقلد المولى عبد العزيز لمقاليد الحكم سنة 1314 /1896، لكننا نعلم أن جل المناطق المغربية عرفت ثورات وفتنا مماثلة، قد تختلف في الغايات والاساليب والدرجة، ولكنها تتفق جميعا، أو تكاد، في الاثر مثل ثورة مبارك بن الطاهر بن سليمان الرحماني في سنة 1313 هـ[26]، وعصيان بني مسارة 1321 /1902، وثورة الجبليين بنواحي تطوان خلال سنتي 1321 /1322 ـــ 1903 /1904،[27]... الخ. فلا يبقى أمامنا إذن إلا تفسير واحد، لعله هو إحساس المولى عبد العزيز بميل الشاوية إلى أخيه وخليفته في مراكش المولى عبد

الحفيظ الذي كانت أمه من الشاوية، وكان في خلاف دائم مع السلطان، وقد تبلور هذا الخلاف بعد أحد عشر يوما من أحداث الدار البيضاء، في شكل انقلاب، أودى بسقوط سلطة المولى عبد العزيز، ومبايعة أهل مراكش ثم فاس فيما بعد، للمولى عبد الحفيظ بشروط لا يتعلق بحثنا بها[28].

— لم تكن حملة مولاي الامين لحماية الوطن أو للدفاع عن الثغر البيضاوي، وإنما كانت حملة تأديبية للشاوية؛ فقد روى عن مولاي الامين لما استشاره القائد بوبكر بن بوزيد في شأن البارجة البحرية الفرنسية (غاليلي) المتأهبة لضرب المدينة، وفي شأن إنزال بعض عساكرها لحراسة قناصلها، أنه أجابه «بأنه لا دخل له في صعود ولا هبوط، وإنما هو مكلف بحماية البلد من عيث الشاوية»[29].

— دعا السلطان المولى عبد العزيز قبائل الشاوية في دجنبر 1905 إلى دفع الضرائب، وحذرها من مطامع فرنسا عدوة الاسلام، وسند بوحمارة في المغرب[30]

— تدهور سلطة المخزن في العديد من نواحي البلاد، واتساع رقعة مناطق السيبة باستمرار، وازدياد تدخل فرنسا في المنطقة، وسعيها إلى نشر نفوذها وتثبيت أقدامها فيها بتنمية أهمية المقاولات الاوربية في البلاد، وخاصة الفرنسية، وكان مشروع قد أسس سنة 1905 من طرف رونو، وهو مهندس رئيس المصلحة الهيدروغرافية البحرية، استوجب استخلاص أرض، وإنشاء مستودع للجمرك. وتوسيع الميناء، وقد تولت هذه الاعمال «الشركة المغربية» التي كان وراءها شنيدر[31].

وهكذا «كان تطور الاحداث في منطقة الدار البيضاء يقوي الشعور المعادي ضد فرنسا»[32]، خاصة بعد وصول السفينة الحربية (غاليلي) إلى ميناء الدار البيضاء[33].

2 — العوامل الوطنية :

من العوامل الوطنية التي فتحت أعين أهل الثغر البيضاوي وقبائل الشاوية، على ما يحدق بالمغرب من أخطار تهدد حريته وأمنه واستقلاله، سياسة المخزن الفاشلة في القضاء على الثورات والفتن المشتعلة في مجموع البلاد؛ مثل الثورات التي أشرنا إليها سابقا، إضافة إلى أكبر ثورة هددت وحدة البلاد واستقلالها، وهي

ثورة بوحمارة الذي يقول عنه عبد الوهاب بن منصور «أحد كبار الثوار الذين نسفوا استقلال المغرب، وعجلوا بخرابه في العقد الثالث من هذا القرن الرابع عشر.»[34].

وكانت الضرورة قد دعت العديد من القبائل إلى تدارك الأوضاع المتردية، في خضم الانحلال العام للسلطة. وحينما ابتدأت أشغال الميناء البيضاوي كانت القبائل في ثورة مسلحة معلنة أو مستترة منذ أشهر، ففي يناير قتلت أو طردت كثير من القبائل قوادها، وحكمت نفسها بنفسها بواسطة مجالس ثورية مكونة من الأعيان المنتخبين من طرف كل مجلس، لكنهم كانوا لا يكادون يقوون على مزاولة السلطة الحقيقية أمام بطش قواد المخزن.[35]

ومن ذلك أيضا، مواقف المخزن الضعيفة والمهزوزة في محاولات يائسة للتماسك والثبات أمام المستعمر المتحمس للانقضاض على المغرب، وقد عصفت بتلك المحاولات جميعا شروط القروض التي التجأ إليها المخزن منذ سنة 1902، وخاصة قرض 1904 الذي أعطى فرنسا حق الاشراف على مداخيل الجمارك، واحتكار المال، وكان، كما قال دوسانت أولير، «تعميدا للحماية». وازدياد النفوذ الفرنسي على الحدود الشرقية المتوج باحتلال الجنرال (ليوطي) لرأس العين سنة 1904.[36] والنتائج السلبية لمؤتمر الجزيرة سنة 1906، المتلخصة في حصول المغرب ـــ الذي كان يؤمل الفوز بمعونة فنية، ومساعدة مالية. وحرية العمل ـــ على القليل من المال والكثير من التدخل.[37]

وفي سنة 1906 زار ماء العينين وجماعة من أعوانه المجاهدين أهم المدن المغربية آنذاك، لاستثارة روح الجهاد في نفوس المواطنين، ولطلب المساعدة بالرجال والأموال والأسلحة في مقاومتهم للاحتلال الفرنسي لشنقيط. وشاهدت الدار البيضاء مرور الشيخ ماء العينين عائدا من فاس، في طريقه إلى الساقية الحمراء قلب الصحراء المغربية في شتنبر 1906. وقد أعطى رجاله مثالا عمليا للكيفية التي ينبغي أن يجابه بها الفرنسيون، فأهانوا فرنسيا، وهددوا بالقتل آخرين غيره، وتحت إلحاح القنصل الفرنسي صرف القائد المجاهد واتباعه الذين أثاروا الناس في كل المدن التي مروا بها،[38] وهكذا نجح ماء العينين ورجاله المجاهدون «في خلق جو مفعم بالعداء ضد فرنسا.»[39]

يضاف إلى ذلك «ظهور معارضة داخلية قوية تزعمها عدد كبير من العلماء والأشراف بدعم من بعض المسؤولين في المخزن، وبتأثير أفكار الجامعة الاسلامية»[40]

وكانت ثالثة الأثافي هي مقتل الدكتور موشان في 19 مارس 1907، وهو طبيب فرنسي استقر بمراكش منذ سنة 1905، وأشرف على مستوصف[41] لقي رواجاً وإقبالًا، ففكر بعد حصوله على الإذن والمال، في تحويله إلى مستشفى.

لكن بعد أسبوع واحد من عودته من فرنسا، وفي اليوم الذي سيغتال فيه، انتبه المواطنون إلى قصبة على سطح منزله[42]، وعلم فرنسي ببابه، فسارعوا، من تلقاء أنفسهم أو تحت إغراء رجل ألماني ملم ببعض العلوم الاسلامية وبتفسير القرآن، ومكلف بالدعاية لبلاده،[43] إلى قتل موشان.

ورغم أن كثيراً من الأحداث المماثلة وقعت دون أن تثير أي ردود فعل قوية، فإن فرنسا رأت في مقتل موشان ذريعة طالما انتظرتها للتخلص من ميثاق الجزيرة، والوصول إلى حدود نهر ملوية؛ لذلك صرح بيشون وزير خارجية فرنسا، في البرلمان الفرنسي «أن الدكتور موشان المسكين قد أدى بموته خدمة كبيرة لعمل فرنسا في المغرب.»[44]

وقد كان لموشان وغيره من الأطباء والعلماء الأجانب دور سياسي لم يخف عن المغاربة، بل إنهم كانوا يعتبرون كل سائح أجنبي في بلادهم جاسوساً يدرس أحوالهم تمهيداً لغزوهم؛[45] لذلك فإنهم لما أغروا بقتل موشان أو اضطروا إليه، لم يقدموا على ما أقدموا عليه لكونه طبيباً، وقد عاش بينهم سنتين دون أن يمسوه بأي أذى، بل أكثر من ذلك أحبوه وقصدوه طلباً للعلاج، وإنما أنزلوا به ما أنزلوا حينما تبينوا صفته السياسية ودوره الاستعماري.

وكانت شروط فرنسا للجلاء عن وجدة ـــ المحتلة غداة اغتيال الدكتور موشان ـــ مذلة للمخزن، سالبة لما تبقى له من مكانة وهيبة في نفوس الشعب، لذلك ما أن أبدى المخزن استعداده للاستجابة إليها، رغم ما فيها من نيل من سلطته، ومساس بكرامة المغرب، وتدخل في سياسة البلاد،[46]، حتى هبت قبائل الجنوب بزعامة قبائل الرحامنة، وراحت تحتشد حول مراكش منذرة خليفتها آنذاك المولى عبد الحفيظ، مطالبة له بطرد الأوروبيين منها وبإطلاق سراح جميع المعتقلين في

حادثة مقتل موشان، والحيلولة دون تنفيذ قرار السلطان بعزل باشا مراكش عبد السلام الورزازي واستبداله بغيره : «وهددت بإعلان انفصال الجنوب المغربي عن مخزن فاس، إذا لم تستجب مطالبها.»(47)

ارهاصات الانتفاضة :

لا نعلم السبب الحقيقي الذي دعا العديد من قبائل الشاوية إلى التجمع حول مدينة الدار البيضاء في أبريل سنة 1907، وإن كان بعض المؤرخين قد سلكه ضمن الاضطرابات العامة التي عرفتها كثير من القبائل المغربية المعروفة ببلاد (السيبة)، لكن، لو كان الأمر كذلك، لما تفرق جمع هذه القبائل، ولما عادت إلى الولاء والطاعة بسهولة، ولما استتب الأمن بمثل تلك السرعة لسبب بسيط هو رسو باخرة فرنسية بميناء الدار البيضاء، ووصول قوة مخزنية بقيادة مولاي الأمين، وبحلول الحصاد !(48)

لقد كانت قبائل الشاوية تتسارع لاقتحام المعارك مع القوات الاجنبية خلال أيام الدار البيضاء الدامية 5 و6 و7 غشت 1907، ولم يردها عن القيام بواجبها الوطني القصف المدفعي المركز والشديد من البواخر الفرنسية والاسبانية،ولا الطلقات النارية الكثيفة لقوات الانزال المختلطة، فكيف يردها مجرد رؤيتها لباخرة أجنبية ترسو بالقرب من الساحل ؟!!

والذي نراه أن هذه الحركة كانت إرهاصا أو تجربة أولى شابتها بعض الهفوات، أو استشعرت القبائل فيها عدم استكمالها للمطلوب، أو حالت الظروف العامة بينها وبين تحقيق غاياتها المنشودة، أو ارتأى قادتها، وهم لا شك ذوو معرفة لا بأس بها بالسياسة، أن يستهلوا حركتهم بمرحلة سياسية، بعد أن أتبثوا قوتهم، ولفتوا أنظار المستعمر والمخزن معا إليهم بتجمع أبريل.

ومما يثبت ذلك أن مندوبي القبائل، وأمناء الجمرك، وأعيان الدار البيضاء، عقدوا اجتماعاً تدارسوا فيه وضعية المدينة ونواحيها، بعد الشروع في بناء الميناء وما ترتب عنه من انتهاك للحرمات، واغتصاب للمتلكات، وإهانة لسكان المنطقة، وما زامنه من سماح للمراقب الفرنسي بالجلوس بالجمرك «ووجهوا إنذاراً إلى حاكم المدينة بوجوب رفع الخط الحديدي فوراً، وتعطيل أشغال الميناء ودعوة مراقب الجمرك الافرنسي إلى مغادرة مركزه فوراً».(49)

وقائع الانتفاضة :

قصد، يوم 16 جمادى الثانية 1325 /28 يوليوز 1907، وفد من أعيان قبائل الشاوية مولاي الأمين أو بوبكر بن بوزيد[50] ليتدارس معه أسباب التوتر والبحث عن حلول سلمية لها، فامتنع عن مقابلتهم، وأجلت المقابلة إلى الغد، فلما عادوا في الغد، طال بهم الانتظار، وظلوا يلحون على المقابلة، فقيل لهم : «إن الأمير لازال نائما، ولم يجرؤ أحد على إيقاظه، فكان هذا الجواب هو الرئيسي للتمرد، والخطوة الأولى في الأعمال الثورية»[51] إذ وقر في نفوس هذه القبائل، وجوب الاعتماد على النفس في معالجة شؤونها، واعتبار المخزن وكأنه غير موجود. وإيمانا من هؤلاء البدو بأنهم «هم المرشحون دائما للأتعاب والقتال» وأن أهل الحاضرة هم «أهل صنائع وتجارة في الغالب»[52]، انطلقوا يطوفون في شوارع المدينة ينادون بالجهاد، ويدعون الناس إلى اخلاء المدينة خلال ثلاثة أيام، ضاربين من يعترض طريقهم،[53]، بل إن برتغاليا ضرب حين أبدى سخريته من مناد بالجهاد.[54].

فاستدعى قائد المدينة بوبكر بن بوزيد، إلى دار المخزن يوم 30 يوليوز 1907، قناصل الدول الأجنبية وعدة شخصيات مرموقة من بينها أمناء الجمرك والمحتسب وأمين الأملاك، للتشاور معهم في الأمر، فألقوا المسؤولية كاملة على عاتقه، وأبى قنصل فرنسا إلا أن يوبخه ويهدده.[55]

وخلال ذلك انتزع الثوار السكة الحديدية في ناحية الصخور السوداء في طريق المحجر على بعد 400 متر من المدينة، مما نتج عنه انقلاب القطار وتحطمه وموت السائق وأعوانه.[56]

وتحت إلحاح مدير «الشركة المغربية» قصدت فرقة من العسكر والخيالة،[57] منقلب القطار والمحجر (والغريب)، فأنجدوا العمال الاجانب الاحياء، وجمعوا جثث القتلى، ووزعت في ذلك اليوم فرق الحرس على دور القناصل : الفرنسي والإسباني والبريطاني والسويدي والالماني والنمساوي، واستتب الامن بالمدينة.

لكن أعضاء الجالية الفرنسية بالدار البيضاء، ورئيس المفوضية الفرنسية بطنجة، ونائب قنصل فرنسا بالدار البيضاء، والصحافة الموالية للاستعمار، اغتنموا الفرصة، فبالغوا في تهويل الاحداث وتشويهها؛ فنشر الدكتور «ميرل»، أحد أعضاء الجالية، تقريراً مثيراً في مجلة لجنة أفريقيا الافرنسية،[56] واحتج النائب

القنصلي، وحمل قائد الدار البيضاء مسؤولية ما وقع واتهمه بالتهاون،(59) ونشرت جريدة «السعادة» أخبار تلك الانتفاضة الشعبية تحت عنوان «مذبحة الدار البيضاء».(60) واستدعى المفوض الفرنسي دوسانت أولير القبطان أوليفتيي قائد البارجة «غاليلي» وأمره بالتوجه فوراً — دون انتظار تعليمات حكومته — إلى الدار البيضاء، وأوصاه بضرورة الإسراع إلى هناك لاخذ زمام المبادرة في حماية الاجانب وممتلكاتهم، وإنزال الجنود الفرنسيين، بل وعدم التردد في قصف المدينة، إن اقتضى الحال ذلك،(61) وألف على عجل، في طنجة «جمعية الشغيلة الفرنسية»،وأوحى إليها بتوجيه نداء إلى العمال الفرنسيين، ليضمن عدم معارضة الاشتراكيين الفرنسيين لمبادرته؛ لذلك بادرت الحكومة الفرنسية فور تلقيها أخبار الانتفاضة إلى إصدار أوامرها «إلى سفينتين حربيتين بمغادرة ميناء طولون إلى الدار البيضاء، وقررت احتلال المدينة وتأديب القبائل المقيمة حولها، بالاشتراك مع الحكومة الاسبانية، بحجة أن ميثاق الجزيرة قد خول الدولتين مهمة البوليس في هذه المدينة»(62)، وحاولت فرنسا إقناع الدول الموقعة على ميثاق الجزيرة بما أقدمت عليه وبررته : «بسبب الحوادث الدامية وعجز السلطات المغربية عن السيطرة على رعاياها وحماية سلامة الأجانب»(62)، وتنظيم بوليس المدينة والضواحي بالاتفاق مع الحكومة الاسبانية.

وفي 31 يوليوز سلم دوسانت أولير مذكرة للنائب السلطاني بطنجة محمد الطريس، حمل فيها قائد الدار البيضاء مسؤولية ما وقع فيها، وطلب منه بإلحاح إرسال قوة مخزنية إلى المنطقة، لإرجاع الامن فيها إلى نصابه. لكن الطريس لم يقو على إنقاص قوات الحامية المغربية بطنجة خوفاً على الاجانب الموجودين هناك، كما أنه، في نفس الوقت، لم ير ضرورة لإرسال أية قوة إضافية.

وفي صباح هذا اليوم، وهو اليوم الثاني للانتفاضة، أصبح رجال القبائل المجاورة محتلين للمدينة بالخيل والمشاة، وجلس بعض رؤسائهم بباب المرسى يتقاضون واجب الخروج من تجار اليهود. ودام الحال على هذه الوثيرة ثلاثة أيام، دون حدوث أي اضطراب.(63)

وفي صبيحة اليوم الثالث للاحداث 1 /8 /1907 رست بميناء الدار البيضاء البارجة الحربية الفرنسية «غاليلي»، فصعد إليها نائب قنصل فرنسا، واصطفت فرقة من عسكر مولاي الامين على الساحل، وراحت تعزف الموسيقى.

وبعد حين نزل النائب القنصلي وبيده إنذار من ربان السفينة لقائد المدينة، يتضمن ثلاثة شروط، إذا لم تتحقق قبل الساعة الثالثة ستقنبل المدينة، وهذه الشروط هي :

ـــ إخلاء المحتلين لباب المرسى.
ـــ مغادرتهم للمدينة فوراً.
ـــ تأمين السكة الحديدية ذهاباً وإياباً.

فدبر القائد والامناء وقواد العسكر، حيلة لإخراج رجال القبائل من المدينة، فهدأت الاحوال، وباشرت الجمارك أعمالها، وفتحت المتاجر، وشرعت المدينة أبوابها أمام الباعة والمشترين،مع اشتراط عدم حمل السلاح. واستمر الحال على هذا المنوال نحو أربعة أيام، «وكان بإمكان المخزن أن يسيطر على الموقف، لولا أن ظهور السفينة الحربية الافرنسية غاليلية في الميناء في آب[64] عاد فَألْهَبَ الشعور»[65]، فبادر مولاي الامين إلى إغلاق أبواب المدينة، ووضع وحدة من الجنود أمام كل باب، وتدخل، باعتراف القبطان أوليفيي نفسه، لتفريق البدو المحتشدين بالساحل، فقتل جنوده شخصين، واعتقلوا مثلهما، وفرقوا الباقي[65]

لكن القنصلية الفرنسية لم يكفها تصرف المخزن لإعادة الامن والهدوء إلى المدينة؛ لان فرنسا كانت في ذلك الوقت، تبحث عن سبب أكثر من مقتل موشان، تتكىء عليه في ضغطها على المخزن لتطبيق قرارات مؤتمر الجزيرة، ولتبرير احتلالها لوجدة، ولتعوض به الشروط التي اشترطتها مقابل الجلاء عنها، والتي حالت الظروف المستجدة دون تنفيذها، بل ولتضمن به احتلالها للمغرب في العاجل أو الآجل[67]؛ لذلك أرسلت القنصلية رسالة [68] إلى مولاي الامين في النصف الاخير من ليلة 4 غشت تخبره فيها بعزمها على إنزال فرقة عسكرية[69] من البارجة (غاليلي)، لحمايتها وحماية رعاياها الذين لا يثقون بالعسكر المغربي، فكلف مولاي الامين القائد بوبكر بن بوزيد بالقيام بهذه المهمة، لكنه اكتفى هو أيضاً بتسليم المفاتيح لمخزني، وأمره بفتح باب المرسى. فنفذ المخزني الامر قبل طلوع الشمس، ونزلت فرقة من العسكر الفرنسي، فلما رآهم حراس الجمارك، الذين لم يخبروا بجلية الامر، بوغتوا، فقام فيهم بواب [70] صائحا : «قوموا، اضربوا على أنفسكم وأولادكم يا كلاب، فإن النصارى جاءت لاخذ بلادكم»، وكان لهذه الصيحة القدرية ـــ كما يدعوها أندري آدم ـــ فعل السحر، إذ صهرت العسكريين والمدنيين في قالب واحد، فانبعثوا كرجل واحد يتوهج غضبا وعداء، [71]، واطلقوا النيران على الغزاة،

وعززهم في الدفاع محمد شيت، أحد المكلفين بحراسة الصقالة، برمية مدفع «إذ كان العامل المذكور (بوبكر بوزيد) أوعز لهم ضرب تلك الدارعة إذا هي ابتدأت بالضرب»[72].

فاتخذ الجنود الفرنسيون المنزلون، هذا ذريعة لتحقيق بعض ما أنزلوا من أجله، فأطلقوا الرصاص على الحراس المغاربة، وعلى من كان هناك من الناس.

وأثناء سير الفرقة إلى القنصلية الفرنسية كانت تمطر كل من لقيته من المارة بعياراتها النارية.

وفي القنصلية استقبل الحرس المخزني، الفرقة الفرنسية بالتحية العسكرية، لكن الفرقة أطلقت عليه نيران بنادقها،[75] وصعدت إلى السطوح، ومنها راحت تصلي العابرين بوابل رصاصها.

وعومل المغاربة في باقي القنصليات بنفس الوحشية، وكان القناصل قد زُوِّدُوا بالاسلحة «لما كان لديهم من معلومات عما سيكون»[76]، فجمعوا رعاياهم ليلاً، ووزعوها عليهم للدفاع عن أنفسهم «وما أن سمعت الطلقة الاولى من باب المرسى حتى شرعوا في ضرب المغاربة أينما ظهروا، وأينما مروا»[75]

وقبل بزوغ شمس يوم الاثنين 5 غشت 1907 (25 جمادى II 1325) بدأت البارجة الفرنسية في قنبلة برج سيدي علال القيرواني والاحياء الاسلامية المجاورة له، فهب السكان مذعورين، وهرع جلهم نحو السور الجديد؛ أملًا في الاحتماء بمولاي الامين والخروج معه إلى البادية، [77]، ولم يقو الباقون على الخروج بسبب تهاطل الرصاص وكور المدافع، لكن مولاي الامين نفسه حيل بينه وبين الخروج، بسبب القصف الشديد من جهة[78]، وبسبب وصول رجال القبائل إلى المدينة، إثر سماعهم لدوي مدافع العدو الاجنبي، للدفاع عنها، ولإغاثة سكانها، من جهة ثانية.

انتفاضة الشاوية بين الوطنية و الفوضى

استهل عبد الرحمن بن زيدان حديثه عن احتلال الدار البيضاء، بقوله : «تلك الواقعة التي تنفس بها صبح الخطوب، في أعماق القلوب، قام بحمل أعباء طاقتها الكبرى جهال رعاع الرعية، وأخلاط الاوباش، وسفهاء الاحلام من سخفاء

عقول قبيلة الشاوية الذين لايتدبرون من العواقب، و لا يعلمون أن الأنسان لايحصد إلا ما بذر.»[79]

ونعتهم في أماكن متفرقة[80] من حديثه عن هذه الواقعة (بالعتاة المفسدين) و(الثوار).

ونسب إليهم محمد غريط أعمال النهب والسفك وانتهاك الحرمات والفساد، ولم يخف شماتته بهم وتشفيه منهم، بعد انكسار حركتهم، وسقوط مدينتهم في يد القوات الفرنسية [80م] وسماهم محمد راغون «الأعراب» [81]، ودعاهم شاهد عيان «العربان»[82].

وذكر شاهد عيان أن القبائل جاءت لسلب الديوانة ومخازن التجارة والحوانيت والدور التي تركها أهلها[83] وقريب من هذا الرأي رأي أندري آدم.[84]

لكننا نرى أن سبب هذا الحكم الجائر هو الجهل بحقيقة البدو، ذلك أن العادة التي توارثها أهل البادية واكتسبوها عبر القرون جعلتهم يعتبرون أنفسهم مسؤولين عن حماية أنفسهم وحماية أهل الحاضرة. وقد انتبه إلى هذه الحقيقة الاجتماعية الأصيلة العلامة ابن خلدون، فقال «وأهل البدو، لتفردهم عن المجتمع، وتوحشهم في الضواحي، وبعدهم عن الحامية، وانتباذهم عند الأسوار والأبواب قائمون بالمدافعة عند أنفسهم، لا يكلونها إلى سواهم، ولا يثقون فيها بغيرهم، فهم دائما يحملون السلاح، ويتلفتون عن كل جانب في الطرق ويتجافون عن الهجوع الاغرارا في المجالس وعلى الرجال وفوق الاقتاب، ويتوجسون للنبآت والهيعات، ويتفردون في القفر والبيداء مدلين ببأسهم، واثقين بأنفسهم، قد صار لهم البأس خلقا، والشجاعة سجية يرجعون اليها متى دعاهم داع، أو استنفرهم صارخ، وأهل الحضر، مهما خالطوهم في البادية، أو صاحبوهم في السفر، عيال عليهم، لا يملكون معهم شيئا من أمر أنفسهم..»[85].

وقد سبق لنا أن جلينا موقف المخزن من قبائل الشاوية، وموقفها منه، ووضعيتها الخاصة في السياسة المخزنية، وألمحنا إلى بعض ما يستشف من تحركاتها من ملامح وعي سياسي ووطني مبكر قد يكون طابع الاقليمية غالبا عليه في هذه الانتفاضة، غير أنه لا يلغي الطابع الوطني العام ولا يناقضه. نلمس هذا الوعي في اليقظة والحذر اللذين كانا وراء الانتفاضة المشوبة بالطابع الديني، والحركة السابقة

لها المتسمة بالقلق والحيرة والرغبة في الدفاع عن البلاد، ويفسر في ضوء هذه الهبة السريعة والموحدة، والنجدة العاجلة.

ويؤكد ما نذهب إليه صاحب المفاكهة بقوله منتقداً سياسة المولى عبد العزيز :

«ثم أن صاحب الرباط ما كفاه ما كان يوجهه من المؤونة والذخيرة لجيش الاحتلال من طنجة وغيرها، لتقويته على إخواننا المسلمين، حتى جهز لهم جيشا عرمرما[86] يشن عليهم الغارة من جهة، والعدو الكافر من جهة، مع أنه لا موجب لما ذكر من محاربة الشاوية، حيث إنهم قاموا للذب على بلادهم ونصرة دين آبائهم وأسلافهم، فكان ينبغي له أن يتنافس في إعانتهم، ويبذل القليل والكثير من جهده في نيل نصرتهم»[87].

ويقول محمد خير فارس عن دخول الشاوية للمعركة ضد الفرنسيين في اليوم الأول للانتفاضة : «وكانت قبائل الشاوية قد هبت كلا لإلقاء الفرنسيين في البحر وتحرير المدينة»[88].

والحق أن ما رافق هذه الأحداث من أعمال السلب والسرقة ليس جديدا، فالتاريخ يشهد أن كل المعارك الحربية، عبر التاريخ، لا تخلو من أعمال الشغب والسلب والقتل الفوضوى واختلال الانضباط. وغالبا ما تكون العناصر النشيطة في مثل هذه الأعمال غير المسؤولة، تحيا على هامش الحياة، مظلومة اجتماعيا، مقموعة سياسيا، مكبوتة نفسيا، فتتيح لها الفتنة الفرصة للانتقام وتحقيق الذات وإشباع الشهوات، فتنطلق بكل ما ترسب في أعماقها من حقد وكره وعجز، متجاوزة كل الحدود[89].

وقد كان أول أعمال السلطان المولى عبد الحفيظ، بعد مبايعته في مراكش، إرسال قوة عسكرية إلى الشاوية، نزلت بقصبة مديونة على بعد 20 كلم من الدار البيضاء[90] وبعث رسائل إلى بعض الدول يستنكر فيها احتلال فرنسا للدار البيضاء، ويدعوها إلى مساعدته من أجل إجلاء المحتلين عن المدينة[90م].

فهل يعقل أن يؤيد سلطان جديد، وهو لا يزال في مرحلة الدعاية لسياسته خارجيا وداخليا، حركة فوضوية كل همها السلب والنهب والشغب ؟!.

ونتيجة لتظافر جهود الدولتين الاستعماريتين العدوتين التقليديتين للمغرب : فرنسا واسبانيا، ولتآمر الدول الاستعمارية الغربية بالصمت والتأييد، ونتيجة لضعف المخزن وتردي هياكله، ونتيجة تمزق القبائل المغربية بين فتن داخلية مشبوهة وحروب قبلية مدسوسة، ونتيجة لانعزال انتفاضة الشاوية عن السياسة الخارجية ضربت الانتفاضة في مهدها بضراوة وجندت كل وسائل الإعلام الغربية لتشويهها ونعتها بأرذل النعوت، وإفراغها من مغازيها الوطنية الاصيلة.

نتائجهـا السلبيــة :

لم يكف المحتل ما أحرزه في واقعة الدار البيضاء من نصر عسكري، وما حققه من مطامعه الاستعمارية التي لم يف بها ميثاق الجزيرة الخضراء، وخاصة تنظيم بوليس أروبي من الفرنسيين والاسبانيين في الدار البيضاء بحجة أن عدد جنود البوليس المغربي الذي حدده الميثاق بـ 2500 جندي موزعين على 8 موانىء مغربية غير كاف، وغير مجد[91]. مما هيأ لها الظروف الملائمة لتطويق المعارضة الشعبية في أسرع وقت، واحتلال الثغر البيضاوي، وضمان إنزال قوات متتالية، ومعدات وذخائر حربية، واتخاذ الدار البيضاء منفذا للتوسع في أراضي الشاوية ثم بقية الاراضي المغربية، بل طمع أيضا في الكسب المالي والسياسي، بإحكام القبضة على مالية الدولة وبهزّ أركان سلطة المخزن.

ــ فما أن خمدت نيران المعركة، حتى هب المحميون، بإيعاز من فرنسا بدون شك، يطالبون بتعويضات مبالغ في تقديرها، وبلغت دعاويهم 3506 دعوى، وبلغت قيمة ما ادعوه (26.478.366 فرنكا و17 سنتيما)، لكن اللجنة المشكلة لحل هذه الدعاوى والمكونة من مولاى الامين رئيسا وبناصر غنام والصديق أحرضان معتمدين والحسن الغسال كاتبا، ومن معتمدي فرنسا واسبانيا وألمانيا وبريطانيا وإيطاليا والبرتغال، حكمت بتعويض 13.069.642 فرنكا و57 سنتيما، فقط !!.

اضافة إلى دعاوى التعويض لما احتله الجنود الفرنسيون والاسبانيون وعددها 61 دعوى وقيمتها 195.710 فرنكا و85 سنتيما، مما زاد في إضعاف ميزانية المغرب.

إذا كان الفرنسيون لم يتمكنوا من باشا مراكش عبد السلام الورزازى ليحاكموه ويعاقبوه وينتقموا منه، وهذا من ضمن شروطهم للجلاء عن وجدة التي احتلوها إثر مقتل الدكتور «موشان»، فإنهم تمكنوا من قائد الدار البيضاء بوبكر بن بوزيد فاعتقلوه،بأمر الجنرال «درود» قائد الاسطول الفرنسي،أياما في مركب حربي ثم وجهوه إلى وهران، واتوابه بعد ذلك إلى طنجة، ووضعوه في المركب المسمى (جان دارك) المرابط بها، وسجنوه لسنوات على ظهر الباخرة(غليلي)قبل اطلاق سراحه[93].

وكان سبق لفرنسا في عهد المولى محمد بن عبد الرحمن أن تدخلت في شؤون الادارة المغربية سنة 1280 هـ، وطالبت بعزل عبد القادر أشعاش قائد تطوان وسجنه، لما كان بينه وبين فرنسا من خلاف، إلى درجة أن فرنسا هددت بقطع علاقاتها مع المغرب إن لم يستجب لطلبها[94].

نتائجهـا الإيجابيـــة :

بالرغم من هذه السلبيات، كانت لانتفاضة الشاوية ايجابيات ذكرنا بعضها متفرقا خلال البحث، ونخص منها بالذكر هُنا تعجيلهَا بسقوط نظام السلطان عبد العزيز المتردي، وقيام أخيه المولى عبد الحفيظ المتحمس، بمراكش في 16 غشت 1907 بإجماع العلماء وحماسة العامة «وتحت إشراف الشيخ ماء العينين الذى رأى أن صديقه عبد العزيز قصر في حق الدفاع عن موريتانيا»[95] وبشروط سيمليها عليه علماء فاس، بعد شهور، منها :

«**أولا** : أن يعمل جهده في استرجاع الجهات المقتطعة من الحدود المغربية.

ثانيا : أن يبادر بطرد الجنس المحتل من الاماكن التي احتلها»[96].

وهكذا أعطى هذا الانقلاب للدولة نفسا جديدا، ومنح المغرب أمدا في ظل الاستقلال والحرية والوحدة.

ونذكر منها إلهابها الحماس الشعبي في أبرز معاقل المقاومة الشعبية التقليدية، وإخراجها للمقاومة من الاقليمية الضيقة، ومن الطرق التقليدية والعفوية في الدفاع عن الارض، إلى آفاق أرحب من التآزر الوطني، وإلى نوع من التكتل

الشعبي المعتمد على التنظيم المحكم الذي ينضوي تحت لوائه العَالِم والطالب والبدوي والحضري والفلاح والعامل والرجل والمرأة[97].

فقد أرسل الشيخ محمد الكتاني رسائل إلى المجاهدين بقبائل الشاوية، مباركا حركتهم الجهادية، مهنئا لهم على شجاعتهم في الدفاع عن الوطن والاسلام، حاثاً لهم على الصمود والصبر، مستشهدا على شرعية كفاحهم بنصوص من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف[98].

وبعث رسائل أخرى إلى القبائل المغربية محرضا لها على الجهاد إلى جانب قبائل الشاوية في مقاومتها للمستعمر الفرنسي، داعيا لها إلى بذل العون والمساعدة للمجاهدين[99].

وذكر المرحوم عبد القادر الصحراوي أن شيخ الاسلام محمد بن العربي العلوي، ورفيقه عبد السلام السرغيني، في سنة 1908 «غادرا فاسا يقصدان موحا وحمو الزياني الذي كان يريد أن يذهب إلى الشاوية ليقف في وجه الزحف العسكري الاستعماري... بجيش المقاومة الشعبي»[100].

وقصدت عدة قبائل مغربية بعيدة عن المنطقة الملتهبة، مدينة الدار البيضاء لمساعدة القبائل المجابهة للعدو مثل قبائل تادلة[101]. وهبّ ماء العينين في الصحراء للدفاع عن الثغر البيضاوي[102]، وقاد ابنه أحمد الهيبة، من بعده المعارك ضد المحتلين لاخراجهم من الشاوية[102م] وأظهر بعض رجالات سوس تحفزا لملاقاة العدو، ورغبة في الجهاد ضد الكفار المعتدين[103].

وحتى القوات المغربية المسيطرة على هضبة تادلة، كانت «تنزل إلى المراكز الأمامية الفرنسية في الشاوية، أي في قلب المنطقة المحتلة وتشن عليها غارات مفاجئة»[104].

ومن ايجابياتها أيضا أنها كانت ناقوس خطر مبكر نبه المغاربة المتناحرين في حروب أهلية لا تكاد تنتهي حتى تبتدىء، إلى ما يريده المستعمر الغربي الغاشم بوطنهم.

يقول الرحالة والطبيب الانجليزي آرثر ليرد : «ولكن الذي أيقظ المدينة، وأيقظ معها المغرب كله، هو طلقات مدافع الأسطول الفرنسي 1907 التي كادت تحولها إلى حطام من حجارة وجنون»[105].

ومن إيجابياتها كذلك، استثارتها للروح الدينية والقومية، وبلورتها في موقف تضامني عربي اسلامي رددت أصداءه بعض الصحف المصرية، خاصة جريدة مصطفى كامل (اللواء)، التي تتبعت دفاع الشاوية المستميت باهتمام خاص، وأبرزت بطولاتهم، وأشادت بإخلاصهم للدين والوطن. ونددت بالغزو الاستعماري الوحشي المبيت لبلد مستقل مسالم لا ذنب لأهله إلا غيرتهم على دينهم وحبهم لوطنهم.

ومما جاء في العدد 2423 ـــ 1907/8/24، تحت عنوان (الدار الفانية)[106]:

«إن الانسانية ترتجف جزعاً من هول المذابح الجارية في المغرب الاقصى، ولقد دعونا الدار البيضاء بالدار الفانية؛ لأنه قد رفرف عليها الموت من كل جانب، وفني فيها كل شيء إلا وجه المدافع، وإن القلوب لتنفطر أسى وحزناً من كون المتمدنين لم يعرفوا ـــ الآن ـــ طريقة تمدين الناس ـــ على ما يزعمون ـــ إلا تسليط القنابل عليهم تحصدهم حصداً، وتنسف منازلهم نسفاً، وأن لا يجد إنسان هذا الزمان لغة ليخاطب بها أخاه الإنسان، الا زمجرة المدافع، وزفير النيران..

ولقد كان البدوي في البادية يلتقي بعدوه الألد، وله عنده ثارات، فيأنف أن يأخذه على غرة منه أو يحاربه بسلاح ليس عنده مثله، وكذلك قوانين المتمدنين، تلتمس ظروفاً مخففة للمجرمين الذين لم يقدروا الجريمة قدرها، ولا أدركوا مبلغ مسؤوليتها.

هؤلاء القبائل من المراكشيين، لم يشتركوا ـــ جميعاً ـــ في (جريمة الاعتداء) على الثمانية الفرنسويين، ثم هم لا يقدرون العواقب قدرها، ولا يدركون الخطر الذي يصيبهم من التعرض للبوارج الحربية وقنابلها، وإنما هم قوم وقر في أنفسهم أن الفرنسويين يريدون الاستيلاء على بلادهم، (فئات!؟) الأنفة في رؤوسهم، فالرحمة واجبة على فرنسا المتمدنة.»

ولولا سوء تدبير بعض المسؤولين المخزنيين، وخيانة بعض العناصر المغربية من يهود ومسلمين، بالاضافة إلى عدم اعتراض المانيا[107]، وهذا موقف غريب منها، وهي التي ظلت تشكل عقبة كأداء تحول بين فرنسا وبين احتلال المغرب من سنة 1905 حتى سنة 1911. ولولا التآمر الدولي على استقلال المغرب ووحدته، بالاتفاقيات السرية، وتوزيع الغنائم، لما سقط ذلك الثغر المنيع بمثل تلك السهولة.

المصادر والمراجع

أ ــ الكتب :

(أ)

1) **الإتحاف** : عبد الرحمن بن زيدان، الرباط، المطبعة الوطنية، ط1 /1347 ــ 1929، الجزء الاول.

2) **أزمة المغرب الأقصى** : روم لاندو، ترجمة : اسماعيل علي وحسين الحوت، سلسلة الالف كتاب (328)، القاهرة، مؤسسة طباعة الألوان المتحدة، مكتبة الأنجلو المصرية ط1 /1961، الجزء الأول.

3) **أعلام المغرب العربي** : عبد الوهاب بن منصور، الرباط، المطبعة الملكية، ط1 /1398 ــ 1978 الجزء الاول.

(ب)

4) **تاريخ تطوان** : محمد داود، تطوان، المطبعة المهدية، ط 1384 /1964، الجزء 16.

5) **تاريخ المغرب** : محمد بن عبود، الدار البيضاء، دار الكتاب، ط 3 /1963.

6) **تنظيم الحماية في المغرب** (1912 ــ 1939) : محمد خير فارس (دمشق) ط /1972.

(ج)

7) **جولات في مغرب أمس** (1872) : آرثر ليرد، ترجمة (؟) عبد المجيد بن جلون، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، ط 1 /1974.

8) **الحركات الاستقلالية في المغرب العربي** : علال الفاسي، تطوان، دار الطباعة المغربية (د.ت).

9) **حرب الريف التحريرية** : الحاج أحمد البوعياشي، طنجة، دار أمل، ط / 1395 /1975 الجزء الثاني.

(ش)

10) **شيخ الاسلام محمد بن العربي العلوي** : عبد القادر الصحراوي، الدار البيضاء، مطبعة دار النشر المغربية 1965.

(ف)

11) **فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان** : محمد غريط، فاس، المطبعة الجديدة ط 1 /1347 ــ 1927.

12) **فلسفة الكفاح العربي نحو الوحدة والتحرر** : عبد القادر البنداري، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط1 /1960.

(ق)

13) **الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى** : أحمد بن خالد الناصري، تحقيق ولديه جعفر ومحمد، الدار البيضاء، دار الكتاب 1956، الجزء 9.

(م)

14) **مختصر تاريخ تطوان** : محمد داود، تطوان، المطبعة المهدية، ط 2 /1375 — 1955 الجزء 1 و 2.

15) **مذكرات حياة وجهاد** : (التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية المغربية) محمد حسن الوزاني، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ط1 /1397 — 1982 الجزء الاول.

16) **المسألة المغربية (1900 — 1912)** : محمد خير فارس، بيروت، مكتبة دار الشرق ط2 /1980.

17) **المعسول** : محمد المختار السوسي، الدار البيضاء، مطبعة النجاح 1380 /1960، الجزء الأول.

18) **مفاكهة ذوي النبل والاجادة، حضرة مدير جريدة السعادة** : عبد الحي الكتاني، فاس، المطبعة الحجرية، 1326 — 1908

(19) **مقدمة ابن خلدون** : دار البيان (د.م) (د.ت).

(هـ)

(20) **هذه مراكش** : عبد المجيد بن جلون، القاهرة، مطبعة الرسالة ط1 /1949.

(21) **Histoire de Casablanca des origines à 1914** : André Adam, publications des annales de la Faculté des lettres Aix-en-provence, nouvelle serie N°66/1968, Ed. Ophrys.

ب — الجرائد :

(22) السعادة، ع 1/131 — 18 — 4 — 1907.

(23) السعادة، ع 132 /1،2 — 4 — 1907.

(24) السعادة، ع 146 /1 — 1 — 8 — 1907.

ج — المجلات :

(25) الأنوار : ع 27 /15.14 يناير، فبراير 1952 (واقعة الدار البيضاء : محمد راغون).

(26) ع 28 /13 وما بعدها — مارس، أبريل 1952 (احتلال الدار البيضاء : شاهد عيان).

(27) حوليات كلية الآداب، الدار البيضاء 2 /43 — 59. 1985

الطابع الاسلامي للوطنية المغربية : محمد المنوني).

هوامـــش

ملاحظة : الرقم الاول يحيل على الرقم الترتيبي للمرجع في لائحة المصادر والمراجع، والثاني على الصفحات.

1) الأسباب الظاهرة : عبارة استعملها «شاهد عيان» وجعل ضمنها بناء مرفأ من طرف «الشركة المغربية»، وما تطلبه من اقتحام مقبرة ونبش قبورها، ومن مد للسكة الحديدية، وإصدار المخزن لأمره بجلوس المراقبين مع الامناء في الجمارك المغربية 13/26.
2) لم يذكر محمد غريط اسبابا معينة لواقعة الدار البيضاء، لكنه ألمح إلى ما يفهم منه أن ألمانيا كانت وراءها، كما كانت وراء مقتل الطبيب موشان. يقول بأن ما وقع كان : «بتدبير من كانت له في ذلك مقاصد، ولمواقيت إلقاء الشر مراصد» 101/11.
3) 13/26.
4) 14/25.
5) 104/5. ويقول أندري آدم «إن القاطرة البخارية الصغيرة الجارة وراءها عربات الشحن، هذه الاداة الهادئة، هي التي عجلت بالمأساة». 105/21.
6) 361/16.
7) 13/26.
8) هذا رأي السلطان عبد العزيز. يرجع إلى الظهير الذي وجهه إلى عبد الرحمن بركاش باشا الرباط. 426/1. ورأي نائبه بطنجة محمد الطريس 362/16، ووردت الاشارة إلى هذا السبب من جملة أسباب في 14/25 و13/26.

   وتجدر الاشارة إلى أن المغرب كان قد عقد أول قرض أجنبي من فرنسا سنة 1902 لمقاومة ثورة «بوحمارة»، ثم تلاه قرضان سنة 1903 من بريطانيا واسبانيا، وقرض سنة 1904 من فرنسا. 65/20.
9) من ظهير السلطان عبد العزيز المشار إليه في هامش 8.
10) 360/16.
11) نفسه 361.
12) نفسه 360. وقد اتهم الفرنسيون «بوبكر بن بوزيد» بنصب كمين للقوات المنزلة في الإنزال الأول 129/21. وذكر ابن زيدان أن «بوبكر بن بوزيد» أوعز إلى حراس الصقالة بمرسى الدار البيضاء بضرب الدارعة الحربية الفرنسية في حالة بدئها بالقصف 424/1.
13) 367/16.

14) تختلف المراجع المعتمدة في تحديد وظيفة «بوبكر بن بوزيد» فابن زيدان يجعله عامل الدار البيضاء، ومحمد خير فارس يجعله حاكمها، وأندريه آدم يجعله قائدها، والبقية تجعله باشاها.

15) 361/16.

16) 122/21.

17) 144/16.

18) نهب المتظاهرون في 3 غشت 1907 ضيعة (سودان) على بعد كيلو ميترين من أسوار الدار البيضاء 114/21.

19) في فاتح أو ثاني غشت 1907 عكس المتظاهرون صلبان المقبرة الأروبية 114/21.

20) 11/2.

21) 360/16.

22) 108/21.

23) نفسه 108. 109.

24) نفسه 109.

25) 46/18. 47.

26) 387/1، 388 و84/11 — 87.

27) 14 ج 220/2، 221، 222.

28) 448/1 — 453.

29) نفسه 424.

30) 360/16.

31) لمعرفة كل ما يتعلق بمشروع بناء ميناء الدار البيضاء، الذي شرع في إنجازه يوم 1907/5/2. يرجع إلى 105/21.

32) 360/16.

33) نفسه/363، 364.

34) 303/3.

35) 107/21

36) 14/6،

37) 347/16. وينظر ما قبلها ابتداءً من : 298.

38) 107/21.

39) 360/16. 361.

40) 14/6.

41) في نهاية سنة 1904 قررت الحكومة الفرنسية انشاء مستوصفات في المغرب، وفتحت أولها بالدار البيضاء والجديدة والصويرة في أوائل سنة 1905، ثم في العرائش والرباط وأسفي،

وفي خريف نفس السنة فتحت مستوصفين في فاس ومراكش 107/21 هامش.

42) يروى أندريه آدم أن موشان أقام بسطح بيته عمودا لشد حبل الغسيل، فظنه العامة والمخزن مقدما على وضع تلغراف لاسلكي. 107/21.

43) على خلاف المراجع المعتمدة في هذا العنصر، يرى محمد غريط أن سبب اغتيال موشان وفتنة مراكش سياسي واجتماعي وهو حاجة مجموعة من الشبان إلى المال، ونشاط الرواد الألمان. يقول : «إن طائفة من أهلها (مراكش) اغوتهم الشياطين النازغة، وأغرتهم الشبيبة والأكف الفارغة، بقتل طبيب فرنسي وجره، ونهب محل مباشرته وتجره، واشرأبوا إلى قتل غيره من النصارى، وإذاقة من تمنع منها تضييقا وحصارا. وأرادوا افعام المدينة حربا، وأن يصيروا على العصيان والفتنة حزبا». 102/11.

44) نقلا عن 354/16.

45) نفسه 352.

46) تنظر الشروط في 354/16، 355، ويرجع إليها في هوامش شرح زجلية «الغرر البهية» في الملحق الثالث من هذا الكتيب.

47) 360/16.

48) نفسه 361.

49) نفسه، و110/21.

50) يرى محمد راغون أن المسؤول المخزني المعنى هو باشا الدار البيضاء «بوبكر بن بوزيد»، لكن النص الذي سنورده بعيد قليل يجعلنا في حيرة من الأمر. 14/25.

51) 13/26، وما أشبه هذه الرواية بما رواه الناصرى في حادثة ايسلي.

ففي ليلة المعركة قابل رجلان من أعراب تلك المنطقة الحاجب الطيب بوعشرين، وأخبراه بأن العدو أتم استعداده، وأنه سيصبحهم في الغد، وطلبا منه إعلام الأمير بذلك، فقال لهما : «إن الأمير الآن نائم، ولست بالذي أوقظه، ثم جاء عقب ذلك أربعة أناس آخرون يعلمون بأمر العدو، فكان سبيلهم سبيل الأولين». 51/13.

52) 14 ج 181/1.

53) 13/26.

54) 111/21.

55) 14/26.

56) اختلف المؤرخون في أسباب سقوط الضحايا، فمنهم من رأى أن المنتفضين قتلوا العمال الأجانب مثل : 101/11 و14/25 و13/26 و112/21.

ومنهم من رأى أن عمل المنتفضين انحصر في تخريب السكة الحديدية وتعطيل القطار، إلا أن ذلك أدى إلى موت بعض الأجانب، مثل 104/5 و361/16.

كما اختلفوا في تحديد عدد الضحايا، فإذا كان «شاهد عيان» يذكر السائق

وأعوانه، دون تحديد لعددهم، فإن بعض المراجع حددت الضحايا في (8) أشخاص، وأخرى جعلته (9) أشخاص وأخرى أضافت إلى القتلى جريحين...

واختلفوا كذلك في تحديد جنسيات الضحايا، فبعض المراجع اقتصر على ذكر الجنسية الفرنسية والاسبانية والايطالية، وبعضها أضاف البرتغال وجعل واحدا مجهول الجنسية. 14/25.

57) لعلهما تابعتان لمحلة مولاى الأمين، يستفاد ذلك من قول «شاهد عيان» بأنه حضرت لدار المخزن عند اجتماع الباشا بالقناصل وغيرهم «فرقة من عسكر مولاي الأمين» 13/26.

58) 361/16.

59) يقرأ الحوار الذي دار بينهما في 14/26.

60) 1/24.

61) 113/21.

62) 363/16.

63) 14/26.

64) فاتح غشت 1907.

65) 363/16.

66) 115/21.

67) كتب روبير دوكي في مجلة (لجنة افريقيا الفرنسية) : «لا يمكن اعتبار حادث الدار البيضاء حادثا فاجعا، بل على العكس، إنه مناسبة لتوسيع وتعزيز مركز فرنسا الخاص» 363/16.

68) يذكر محمد راغون أن مولاي الامين امتنع أول الأمر، فلما ألح عليه القنصل، أبدى رغبته في مساعدته في إنزال العسكر : «شرط أن ينزل في الصبح قبل أن تعمر المرسى، ووقع الاتفاق على ذلك» 14/25. تراجع موافقة مولاي الأمين أيضا في 120/21. 126. 127.

69) كان المسؤولون الفرنسيون يعللون هذا الانزال بضعف المخزن، وعدم كفاءة ممثليه، وفوضى جنوده، وبالحقد المتزايد بين العامةِ ضد الأجانب، وبتدهور الحالة الصحية للفرنسيين الملتجئين بالباخرة البريطانية Demetian وبباخرتين بخاريتين أخريين 113/21. الراسيات بالقرب من ميناء الدار البيضاء. تنظر كذلك الصفحات 120. 121. 130 من نفس المرجع.

وقد أخطأ ميكرى Maigret في تأويل رسالة وجهت إليه في شأن الإنزال، إذ أعطى موافقته على إنزال 66 جنديا من «غليلي» ظنا منه أن الأسطول الفرنسي سيصل صبيحة ذلك اليوم 122/21. 124. 127.

تراجع المراحل التي مَرَّتْ بها فكرة الإنزال، والصّيغ التي أعطيت لها في 116/21 وما بعدها، كما تراجع تفاصيل الإنزال في نفس المرجع : 122 و127 وما بعدها.

70) لعله البلدوى أو محمد (فتحاً) ابن القلوبي 424/1.

71) اكتفى ابن زيدان بذكر الفرقة، ولم يحدد عددها، وحصر محمد خير فارس العدد في 10 بحارة فرنسيين. وذكر شاهد عيان أن عدد النازلين ينيف على الخمسين، وجعل محمد راغون العدد 50. أما أندريه آدم فحدد العدد في 66 جنديا.

72) لعله محمد الحياني المسفيوي الوارد في 424/1.

73) 131/21.

74) 424/1.

75) يروى أندريه آدم خلاف ذلك. 129/21.

76) 15/26.

77) كانت سلطة مولاي الأمين قد انتهت إلى الانحلال، وآخر الجنود الذين ظلوا مخلصين له، تخلوا عنه الواحد تلو الآخر، وما لبث أن طلب من القنصل الفرنسي اللجوء إلى البارجة الفرنسية 132/21.

78) أثر انتفاضة 30 يوليوز 1907 سارعت فرنسا إلى التدخل لمواجهة الأحداث والسيطرة على الموقف، فشحنت من وهران كتيبتين من الرماة الجزائريين من البليدة ومستغانم، وفرقة أجنبية من المشاة عدد رجالها 2400، وقليل من رماة المدافع و300 فارس...

وبعثت اسبانيا — خوفا من أن يضيع الأمر من يدها — 500 رجل 118/21.

ووصلت «دوشيلة» — باخرة حربية فرنسية — في يوم 1907/8/5 في الساعة 11 صباحا، وانزلت 75 جنديا، وفي نفس الوقت وصلت الدارعة الحربية الاسبانية (ألفارو دوباران) وأنزلت 20 رجلا 133/21.

وحضرت يوم 1907/8/6 بعد الزوال، البارجة الحربية الفرنسية (فوربان) وأنزلت 44 جنديا ووصل الأسطول الفرنسي يوم 7 غشت 1907 132/21.

79) 420.419/1.

80) نفسه 428 و447.

80) مكرر : 11 /101.

81) 15/25.

82) 15/26.

83) 15/26.

84) 132/21، 134.

85) 125/19.

86) لعله يقصد محلة مولاي الأمين.

87) 46/18 وأشار إلى هذه الحقيقة التاريخية الزجال عبد الهادي بناني بقوله : «نوض السلطان يعينو وشاع لخبار» الملحق الأدبي الرابع. وتضمنها السؤال الذي وجهه نواب فاس إلى العلماء عن شرعية عزل السلطان عبد العزيز وجواب العلماء، ووثيقة إدانة أعيان فاس للسلطان عبد العزيز ووثيقة عزله (مذكرات حياة وجهاد 1 /61 وما بعدها)

88) 367/16، وتنظر ترجمة رسالة موجهة بتاريخ 20 جمادى الثانية 1325 موافق 1907/7/31 من أعيان قبيلة الشاوية إلى قبيلة أولاد حريز، لاستدعائها إلى اجتماع كبير يوم الاثنين 5 غشت، لعقد تحالف بين سائر قبائل الشاوية 115/21 هامش.

89) تراجع بعض تلك الأعمال في 428/1، 429.

90) 371/16.

90) مكرر : يرجع إلى الوثائق التاريخية الملحقة بالكتاب، الوثيقة 1.

91) نفسه : 365، 366.

92) 120/21.

93) 431/1، ويرجع كذلك إلى 18/26 و129/21.

94) 88/4 وما بعدها. و14 ج 204/2، 205.

95) 95/8.

96) 448/1 ــ 453.

97) حكى لي الأستاذ مصطفى العمري الأزموري أن أحد أقاربه المسنين، ذكر له أن جدته ــ والدة أبيه الشيخ أبي شعيب الأزموري ــ المشهورة بالفرجية، كانت تأخذ مكانها في حراسة أسوار المدينة، حاملة بندقيتها إلى جانب والدها.

98) يرجع إلى رسالته إلى مجاهدي الشاوية في الملحق 1 من هذا الكتيب.

99) يرجع إلى رسالتيه في هذا الصدد في الملحق 2 من هذا الكتيب.

100) 18/10، 19.

101) 134/21.

102) 419/15. ويقول محمد حسن الوزاني بهذه المناسبة : «ما كاد يسمع بنزول الغزاة الفرنسيين في الدار البيضاء، حتى هب على رأس ثلاثمائة من صناديد الرجال في الصحراء، بوادي الذهب، فاتجه لقتال المحتلين الذين كبدهم (الرجال الزرق) خسائر جسيمة في الأرواح، لا فرق بين الفرنسيين والأوربيين، وقد ترك (الملثمون) وماء العينين في مراكش من الأثر ما أدخل الرعب على كبار القواد هناك أمثال الكلاوى والمتوكي.

وفي فاس كانت زيارة ماء العينين للسلطان عبد العزيز فرصة لاظهار التأييد له ضد المحتلين. وقد أصدر السلطان أمره إلى جميع عماله لملاقاة الشيخ البركة بكل ما يستحقه من ترحيب وتكريم، تقديرا لمقامه، واعترافا بجهاده في سبيل الله والوطن» نفسه 418.

وقبل هذا استأذن ماء العينين المخزن في إعلان الجهاد والهجوم على القوات الفرنسية بوجدة. 1/23. 2.

102) مكرر: 415/15.

103) 301/17 وما بعدها. ويستحسن الرجوع إلى قصيدة الطاهر الايفراني (ملحق 4) التي تعكس بصدق وحرارة صدى أحداث الدار البيضاء واحتلال الشاوية في سوس، وموقف المثقفين المغاربة في ذلك الوقت من تلك القضية الوطنية.

كما يستحسن الرجوع إلى (المفاكهة) لاستطلاع موقف أحد كبار علماء فاس في ذلك الحين، عبد الحي الكتاني (الوثيقة 1).

104) 111/12.

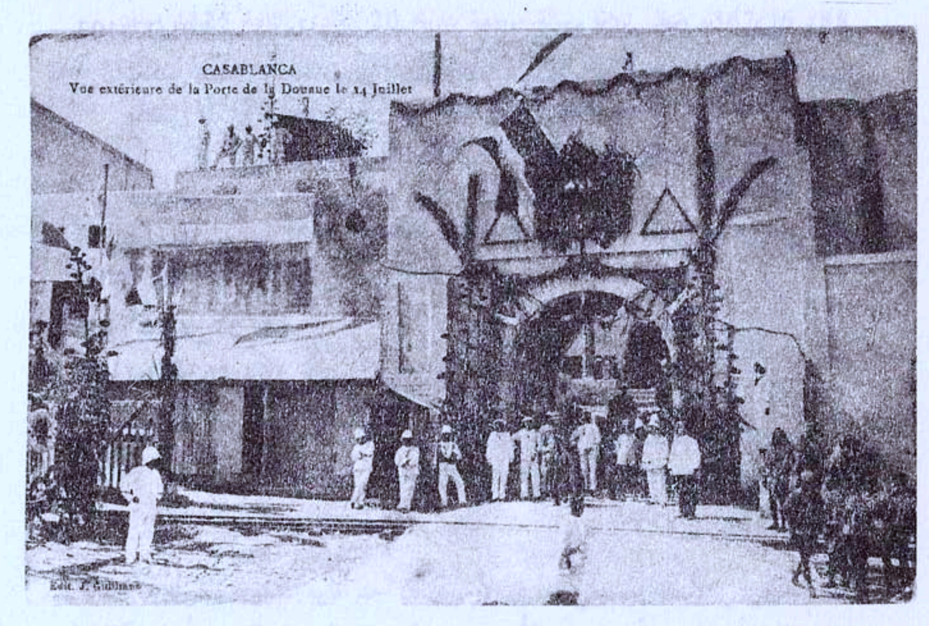
105) 39/7.

106) نقلا عن 27 /55.

107) 16 /363، 364.



إنزال القوات الفرنسية



باب البحرية بحي سيدي بوسمارة، أحدى أبواب البيضاء الثلاثة

CASABLANCA - Débarquement des pièces d'Artillerie
Edit. J. Guilliano

إنزال المعدات العسكرية الفرنسية

2 ــ وثائق تاريخية

رسالة للمولى عبد الحفيظ

هذا النص رسالة وجهها المولى عبد الحفيظ بعد مبايعته في مراكش، الى بعض الدول بتاريخ 19 ذي الحجة سنة 1325 / فاتح يناير 1908.

ورغم أن محورها الاساس هو موقف السلطان الجديد وموقف مبايعيه من نتائج مؤتمر الجزيرة الخضراء، فإنه ضمنها احتجاجه ضد احتلال الفرنسيين للدار البيضاء، ومطالبته الدول بالضغط على فرنسا لتجلو جيوشها عنها، وإخبارها بإقدامه على إعلان الجهاد دفاعا عن الوطن.

وقد قدم عبد الله الجراري النص بقوله :

«بويع السلطان المولى عبد الحفيظ في التاريخ المذكور (1325 ــ 1907)، وبعد مناورات ومداورات من الاستعمار الاجنبي على اختلاف أجناسه فرنسيين، وانجليز، وألمان، واسبان، كان يحوكها سياسيا واقتصاديا وعسكريا تطلعا منه إلى الاستيلاء على المغرب واحتلال ترابه، شيء وجد العاهل الحفيظي نفسه منه في حرج وضيق عن تسيير دولب الولاية ملقيا ثقل ذلك وعبأه على سلفه المخلوع، خاصة ما جرى في مؤتمر الجزيرة : (7 أبريل 1906) نراه ــ رحمه الله ــ يبعث الرسالة التالية المؤرخة في 19 حجة 1325 هـ[1] :

وعلق عليه بقوله :

والرسالة في ملامحها وأبعادها تهدف ما كان العاهل يقدره ويتحمله من مسؤوليات نحو وطنه وشعبه في عزة واباء وقتا كانت العراقيل تنصب أمام مسيرته داخلا وخارجا مما كانت النهاية فيه للدربة والنظام المصطبغين بصبغة الاغاثة والانقاذ، وهنا تجيء الكلمة المؤمنة : أريد وتريد ولا يكون إلا ما يريد.

شذرات تاريخية،من 1900 إلى 1950 عبد الله الجراري ص : 20،21،22،23

« الحمد لله نسخة من كتاب لبعض الدول.

نص المقصود منه، وبعد فغير خاف على دولتكم الفخيمة أننا ولينا السلطنة التي ورثناها عن الآباء والاجداد، الملوك الاعاظم الانجاد الامجاد، وأن ولايتنا هذه لم تكن عن طلب منا، وإنما هي من أمور ديانتنا، وعليها مدار معاملتنا الداخلية والخارجية حسبما أنتم تعلمون ذلك، ولنزدكم الآن تحقيقا وتبيينا وهو أن من أمور الديانة التي يعتنى بها ملاحظة السلطان العادل في رعيته العاقل الذكي الفطن النبيه الذي لا يغتر بحيلة، و لا يدخل على مماحكة مذلة، و لا يستبد في الامور برأيه، و لا يحيد عن مشاورة علمائنا ورؤسائنا في كل حادثة مهمة ملمة، فإن هم أشاروا عليه بأمور استعملها، وإلا تركها، وبعد استناده على واحد منهم فلا يدخل فيه بعدد سيسه كمن خلعه الشرع الشريف عندنا لشؤون المدا (كذا) ذللت الاغترارية التي وقعت بينه وبين وزارته ووزارة فرنسا، واشرأبت نفس فرنسا للاستيلاء على بلاد المغرب الاقصى الصعبة المرتقى، وكيف لا تعرفون ذلك وفي صك المؤتمر ما يشهد بحماقة الاناس المغاربة الذين وجهوا بدون إذن من علمائنا، و لا من رعايانا، وإنما وجهوا لتلك المكيدة بتخصيصهم فكأني أشاهد رؤساءكم وعقلاءكم على تلك الكراسي التبريزية يسخرون من الموجه والموجهين ويحكمون على الصك بالتمزيق حالا، والذي ينبئنا عن ذلك هو بعض التصريحات الرسمية في معظم الجرائد الاوربية حتى من فرنسا عند إبداء الحق في المسألة المتكلم فيها حالة المؤامرة، وبعد مجيء نوابكم العقلاء لذلك المؤتمر من السياحات التي يسيحونها لاكتساب مصالح خصوصية، لان هذا المؤتمر لم تأت فيه مصلحة لنا خصوصا ولكم عموما.

أجل احتوى على أمر البوليس والبوليس لو طلبته منا الدول لنظمناه منا على حسب ما هو منظم في أوربا وتكون ضباطه من المغاربة الذين لهم خبرة بذلك، وهب أنهم لم يوجدوا فيتعلمون حالا لانه أمر يتوقف على قوانين يعلمها كل ملتمس لها، فلاى شيء يتداخل الفرنسيس إلا أن يكون مجاورا لنا فمجاورته لا تمكنه من التداخل معنا، ألا ترون إلى الاتحادات الواقعة بين الجميع من حيثية الاستيطانة، أهل أوجبت لهم التداخل في أقل من هذا ؟ لا والحكم في الديانة عندنا لا يتداخل أجنبي في شيء من الامور الداخلية والخارجية إلا بمقتضى

المعاهدات. وذلك أخذا بالحزم، وتمسكا بالضبط كما هي عادتكم، أهل رأيتم أجنبيا مع تركيا تستخدمه دولتها تتخذه معها في الامور المخزنية وخصوصا على سبيل التعنت مع أنها كثيرة الجوار ولها من التنظيمات ما لا يوجد عند غيرها، وبعض الدول وخصوصا المتحدين بها ؟

واحتوى أيضا على مسألة البنك، والبنك أعظم محرم عندنا والشرع لا يوافقنا عليه زيادة على ما فيه من الاضرار بماليتنا.

واحتوى أيضا على عدم إدخال المواد النارية لبلاد المغرب إلا للمخزن بشروط يستفاد منها التحجير، ونحن لنا الحرية والاستقلال من قديم، إلى غير ذلك من الامور التي يطول شرحها وتؤذن بشهوات فرنسا في المغرب، وهي تقول أنها تأخذ به باقي الدول (كذا) وتدخلهم تحت أمرها ونهيها (لابلغت مناها) وحاشا الدول أن ترضى بذلك و لا أن تسمح بإمضاء شيء من أمور المؤتمر المذكور، وطلبنا هذا لم يكن من قبل الاستهزاء بخواتم نوابكم العقلاء لان وضع الختم لم يكن عن طلب حقيقي وإنما أنتم على سبيل الموافقة لمن وجه من قبل أخينا المخلوع الذين وجههم بدون موافقة و لا مفاوضة مع جميع الرعية، والا لو علمت دولكم الفخيمة أن تلك المجالس تنفض على هذا المنوال الركيك لم توجهكم لان هذا المجلس الخالي من العقول السليمة التي تنافح عن مصالح بلادها، لا تدخله نواب الدول العظام، وذلك لما لهم من المحبة التامة والشهادة للمغرب ورجاله بالاستقلال على أنه في ذلك المجلس اختار الفرنسيس لجميع الدول الفخام، والدليل على ذلك هو جعله لهم مقاصد يشار بها الآن نحو فرنسا، ومع ما قرر ففرنسا لم تزل حتى الآن معترفة بصك المؤتمر، وتقول إن احتلالها بالدار البيضاء من التسهيلات الإصلاحية، والحالة أنها فسادية، وتصرح زورا أن ذلك عن إذن من الدول، وهم يعلمون أن من الاسباب المهيجة للفتن بالمغرب المحاربة والتداخل الفرنسوي وحتى لو سئل جميع الرعايا الدولية بالمغرب وأنصفوا بسبب عدم إقامتهم على الراحة والامن كما كان ذلك سابقا لقالوا المداخلة الفرنسية على سبيل التعصب الديني فليكن ذلك من الادلة على أن فرنسا تتعاطى الاسباب العدائية بدون بحث عن حقائق الامور، فاحتلالها باطل فاسد، فلم لم يقتلوا[2] ان كان من التعصب دينيا وإنما قتل الطاليانيون والاسبانيون باضافتهم للفرنسيس والسبب هو الاغترار بأنفسهم والاتيان بغير المألوف، وقتل موشان لجعله العلامة التونسوية على دكانه بغير إذن، وهى لا

تلزم لطبيب ومع وجود هذه العلل المقبولة فالمسألة جنائية ترجع لمقتضى القوانين الجنائية في أوربا، فكم من أجنبي قتل في أصقاع أخرى، أهل كانت تحتل بهم البلدان؟ وحاصله أن فرنسا قد وقفت موقف الفضول دون جميع الدول الفخام، وعلى فرض قبول المخلوع العقود الاتمارية فإني لا يلزمني قبولها، وإنما يلزمني حق الدول وهي المحافظة عليهم بعساكري وضباطي الوطنيين حفظا كحفظ رعيتي على حسب القوانين المحررة، على أنه لم يرد في المؤتمر شرط الالتزام بذلك العقد لكل فرد ملك المغرب، وتلك العقود هي التي أوجبت وقوع الفتن في المعمور، وشفقة على المغرب واعترافا بفضله، وقد بويعت للقيام بحقوق الوطن والسكان والتكلم على الوقائع وما بقي من المراسي التجارية على لما ترد بيعتهم ان شاء الله فالمراد به رفع الشكوى إليكم بكف هذا المتجرىء حتى تقع معه المحاكمة إن شاء الله على شرط أن يحمل عساكره، والمقصود الاهم هو إحياء الودة القديمة بينكم وبين أسلافنا قدسهم الله، وإننا على قديم محبتكم لا نحيد وإعلامكم بهذا الذي تقدم حتى لا تكون مخابراتكم الرسمية مع غيرنا، فإن المخابرة مع الغير لا تقبل لما قرر وسطر آنفا، وان مبايعتنا هذه لعدم توفر الشروط المطلوبة في أخينا وبذلك خلع، فالواجب على الدول الفخيمة عدم المداخلة في أمور ديانتنا فضلا ونحن لا نتداخل معهم في ديانتهم، وقد استفزنا الناس للجهاد لما رأينا تفاحش قوة الفرنسيس إذ لربما يكثر عيثه و لا نلام على ذلك إذ الواجب ضربه، و لا يعد ذلك حربا وإنما يعد مدافعة عن الوطن، وإلا فأنا القائم بأمر الشاوية ولي الشأن الفيصم اجابته، وللحرب شروط تعلمونها منها : تعيين الاجل، وحد محل المعاركات إلى غير ذلك، ومع اقتدارنا على ذلك فنحن لا نريد إلا مسالمة جميعكم محافظة على شروط أسلافنا القديمة.

ونحن على خالص المحبة والوداد الذي لا ينقضي إن شاء الله وختم في 19 حجة عام 1325 ».

(1) نقلها الكاتب من كناش الفقيه القاضي المرحوم السيد أحمد بناني الرباطي بواسطة ابنه الاديب السيد بوبكر، رقم 401.
(2) لعله وقع هنا حذف.

نص من المفاكهة
محمد عبد الحي الكتاني
1400 /1482 ــ 1888 /1972

عرف صاحب النص بعلمه الواسع في الحديث، ومعرفته الدقيقة برجاله، وبنشأته في بيت اشتهر بوجاهته وسعة نفوذه في سائر المناطق المغربية، وبتتبعه المتيقظ لما يجري في داخل المغرب وخارجه، بل وبمشاركته في توجيه الأحداث السياسية الكبرى التي عاشها المغرب في العقد الاول من القرن العشرين.

وسينحرف عبد الحي الكتاني بعد كتابة هذا النص بحوالي سنتين، حينما اعتقل هو وأخوه الشيخ محمد الكتاني ووالده عبد الكبير الحسني الادريسي الكتاني سنة 1327 /1909 بدار المخزن بفاس، إذ أنه بعد إعلان الحماية بالمغرب والى الفرنسيين انتقاما لأخيه وأسرته، وطمعا في استرجاع مجد زاويته.

وهذا النص يعكس وعيه السياسي والثقافي، واطلاعه الفقهي الواسع. ويمتاز إضافة إلى ذلك، بتصوير ظروف الانتفاضة وملابساتها ومعطياتها السياسية والاجتماعية والدينية، وما أثارته من جدال فقهي بين العلماء في العاصمة العلمية والسياسية آنذاك : فاس. وربما في غيرها من المدن المغربية المهمة مثل مراكش.

ويعود تاريخ كتابة النص إلى 26 ذي الحجة 1325 ــ دجنبر 1907.

«وبالجملة فإن نصوص الشرع معنا، وقواعد الدين تذود الظلم عنا، فأنى ينفع صاحب الرباط[1] ــ مع هذا ــ ذب صاحب الجريدة[2] عنه أو عليه، فمن يتوقف في خلعه وإزالة ستره ؟ كيف لا وهو الرجل الوحيد الذي يعتقد تصويب فعل الفرانساويين مع الشاوية الجند العربي، وقد قال وزيره الحربي[3] لبعض

النواب أن سيده راض عن الخطة التي ارتكبتها فرانسا في جهة الدار البيضاء، مع أن قبائل[4] (!) البواخر فعلت في تلك المدينة التجارية غير[5] المحصنة ما لم يسبق له مثال في عصر المدنية قط، فقد هدمت قباب وصوامع ومعابد[6]، مع أنه في كتاب حقوق الملل ومعاهدات الدول في الحرب، في البند الخامس عشر من تعليمات مؤتمر بروكسيل، أنه لا يجوز إطلاق المدافع على مدينة غير محصنة، أو مدينة قد استسلمت وفتحت أبوابها للعدو. وقد أجمع المشرعون[7] بالنهي عن إطلاق المدافع على المدن التي لم تشترك في الحرب. أو الثغور التجارية غير المحصنة، وأن كنوز العلم والصناعة والمتاحف في حوز مكين. انتهى ملخصا.

ولا شك أن عقلاء الشعب الفرنساوي لا يرضون بذلك، ويعذرونه[8] مخالفا لقواعد الحرب، ولكن من فعل ذلك منهم بالدار البيضاء، أراد أن يعاملنا بما عاملهم به الالمان في مدينة باريس، عاصمة فرانسا، في الحرب[9] الاخير[10]، الذي لا تزال رناته في أذان الفرانساويين إلى آخر الدهر، وذلك أنهم أجمعوا على اتهام الالمان بعدم مراعاتهم القواعد الانسانية، في حربهم السبعينية. وكتب أحد رجال المجمع العلمي الفرانساوي في مجلة العالمين في 15 اكتوبر[11] سنة 1887[12] مسيحية، أن الالمان في حصارهم ستاسبورج، تركوا الحصون، وصوبوا مدافعهم على المدينة فمطروها بقنابل محرقة، وأصابوا الكنيسة الكتدرائية المشهورة ومكتبها ومستشفياتها، واعتذر الالمان بأن ذلك حدث خطأ من فرق المدافعية، فرد حجتهم قائلا أن خرائطهم كانت دقيقة واضحة فلا يحتمل هذا الغلط، وعليه فإن الالمان أحرقوا للفرنساويين عمداً 300 ألف مجلد وألفين وأربعمائة مجلد خطية من مكتبتها. فلو كان المخلوع[13] ناصحا لوطنه لدافع بما دفع به الفرنساويون إذ ذاك[14]، ولكنه متى عرف حقوق الدول، ولا قوانين الحروب، ولا أراد نصحا لامته قط، فقد كان يعين جيش الاحتلال بالذخائر والاقوات، ويمدهم بكل ما في طوقه تقربا إليهم وتودداً، ويعلمهم بكماين المسلمين.

وفي نزهة الحادي، لما ترجم لسيدي محمد العياشي بعد أن اذكر [أن] بعض القبائل دسّوا للنصارى، أيام محاربتهم له، بأن محلته ليس فيها إقامَة، قال ما نصه : «فأقام عليهم الحجة، وشاور العلماء في قتالهم، فأفتى سيدي العربي الفاسي بجواز مقاتلتهم، لانهم عادوا الله ورسوله، ووالوا الكفار ونصحوهم، ولانهم تصرفوا في مال المسلمين، ومنعوهم من الراتب، وقطعوا البيع والشراء عن الناس، وخصوا به

أنفسهم، وصادقوا النصارى، وأمدوهم بالطعام والسلاح. وكان الامام سيدي عبد الواحد بن عاشر، رحمه الله، لم يحجب عن ذلك إلى أن رأى بعينه، حيث قدم لسلا، الأندلس يحملون الطعام للكفار، ويعلمونهم بغرة المسلمين. فأفتى بجواز مقاتلتهم، وحكم في رقائبهم السيف أياماً، إلى أن أخمد بدعتهم، ورجع بهم إلى الكلمة».

وقد سئل الامام أبو عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي عن بيان الحكم من طوائف بنى عامر الذين آووا إلى النصارى، ودخلوا في ذمتهم من غير اضطرار : هل تكون أموالهم فيئاً على المسلمين، أو غنائم تخمس كأموال المسلمين ؟ فأجاب أن فتاوى علماء المغرب من أهل القرن التاسع فما بعده، قد تكررت في مثل النازلة، فليكن عليها الاعتماد، لأنهم قدوتنا في ديننا، وهم أعلم بمأخذ كتاب ربنا وسنة نبيّنا. فمنها جواب الامام مفتى الاسلام أبي مهدي عيسى الماواسي وقد سئل عن أناس سكنوا بأوطانهم على ذمة العدو الكافر، دمره الله، مع أنه يتأتى لهم الانتقال من تلك الأوطان، وحالهم مع أقسام : قسم يغرم لهم ولا يتردد إليهم، وقسم يتردد اليهم للتجارة، لا لغيرها، وقسم يتردد اليهم ويعلمهم بأخبار المسلمين، وقسم يركب معهم للاصطياد، ويقول لهم : أطال الله هذه المدة.

فأجاب : أما قيام المسلمين اختياراً تحت ايالة الكفر فحرام؛ إذ لا يحل لمسلم أن يعقد الصلح مع الكافر على أن يغرم له، باتفاق في مذهب مالك. فمن فعل ذلك لا تجوز شهادته ولا إمامته. وأما القسم الثاني فهو أسوأ حالا وأقبح. وأما الثالث، وهو من يعلمهم بأخبار المسلمين، فهذا أقبح الفرق الثلاثة، وأشبه حالا بالجاسوس الدال على عورات المسلمين، وأما القسم الرابع، وهو المتردد إليهم، ويعرفهم بالطرق الموصلة إلى الاستيثار [بـ] المسلمين، فهذا بئس الفريق، وهو أقرب للكفر من الايمان، لأن المحب للكافر والراعي بالعزة له، والاستطالة على المسلمين، من علامة الكفر، انتهى ملخصا.

ثم إن صاحب الرباط ما كفاه ما كان يوجهه من المؤونة والذخيرة لجيش الاحتلال في طنجة وغيرها، لتقويته على إخواننا المسلمين حتى جهز لهم جيشا عرمرما يشن عليهم الغارة من جهة[15]، والعدو الكافر من جهة، مع أنه لا موجب لما ذكر من محاربة الشاوية؛ حيث إنهم قاموا للذب عن بلادهم، ونصرة دين آبائهم

وأسلافهم، فكان ينبغي له أن يتنافس في إعانتهم، ويبذل القليل والكثير من جهده في نيل نصرتهم، ولكنه عكس، وما نظر إليهم قط بنظرة رضا، بل ما كان يسميهم الا بالفساد والنهاب، ويغري عليهم من بجوارهم من القبائل لسبي ذراريهم، وتشتيت أموالهم.

وقد سأل السلطان المعظم سيدي محمد بن عبد الله العلوي علماء عصره، أيام حصـ[ـا]ره على ثغر امليلية سنة ثمانية وثمانين ومئة وألف عن ما ظهر من بعض الترك، من أن بعض المسلمين ممن شملتهم ولا يتهم، حضروا حصار امليلية، فلما رجعوا إليهم، أباحوا دماءهم، وروعوا أولياءهم، وتعاقدوا على أن يكون هذا جزاءهم.

فأجاب هلال المغرب أبو عبد الله بن سودة بما نصه : لا شك أن فعل ما ذكر من القتل والتنكيل بمن آوى إلى الله من المسلمين، وانحاز إلى طائفة المجاهدين، لا ينبغي أن يعد فاعله من أهل الدين، ولا أن يدخل في جملة المؤمنين، لما اقتضاه فعله هذا من رقة الديانة، وضعف الأمانة، وإهانته ما أعظم الله قدره، ورفع على لسان رسوله صلى الله عليه ذكره، وجزاؤه هو أن يؤخذ فيغل، بعد أن يطاف به جزاء للسيئة بمثلها، وقصاصا من نفسه الخبيثة بسوء فعلها، ثم يرد إلى ربه، وهو أعلم بقصده ونيته، فإن كان قتله لمن جاهد نصرة لاعداء الله وحمية لهم، ومحبة في دينهم، فهذا خلع من عنقه ربقة الاسلام، واستحق أن يلحق بمن عند الأوثان والأصنام، «وإنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا»[16]. وفي صحيح مسلم : «حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم. وما من رجل من القاعدين يخلف رجلا من المجاهدين في أهله فيخونه فيهم الا وقف يوم القيامة فيأخذ من عمله ما شاء»[17] فما ظنك بمن يخونه في نفسه ؟ وفضل الجهاد وعظم موقعه من المعلوم ضرورة عند كل المسلمين. انتهى جوابه ملخصا.

وأجاب الشيخ أبو عبد الله محمد بن الحسن بناني أيضا بقوله : إن الذي يفعل ذلك بالمسلمين، لا شك في فسقه وظلمه وجوره، وأنه من أهل العظائم في الدين، وذوى الكبائر من المفسدين، يجب على كل من قدر عليه وتمكن، أن يكف أذاه عن المسلمين. فإن قلت : هل على هؤلاء المومنين المقتولين درك حيث توجهوا للجهاد بغير اذن واليهم، قلت لا درك عليهم في ذلك، حيث كان من ولاة الجور.

قال ابن وهب : إن كان الامام عدلا لم يجز لأحد أن يبارز العدو أو يقاتله إلا بإذنه، وإن كان غير عدل لم يلزم استئذانه في مبارزة ولا قتل، انتهى ملخصا.

وأجاب سيدي علي بن هاشم العراقي بما نصه «ان قتل النفر الذين توجهوا إلى محل الجهاد لتكثير سواد المسلمين، والإعانة في قتل أعداء الله الكافرين، يعد من فاعله ردة؛ لأنه لا يصدر الا ممن خلع من عنقه ربقة الدين، وأنه إنما قتلهم لأجل جهادهم، وقد صرح بذلك حيث نادى هذا جزاؤهم وجزاء من يفعل مثل فعلهم، ولا يقتل مومنا مسلماً، لأجل الجهاد، إلا كافر، فهو كمن قتله لأجل إيمانه، فقياسه عليه واضح ظاهر، وحكمه أنه يستتاب من فعله الدميم، الذي يقصيه من دار النعيم، ويدنيه إلى دار الجحيم، فإن تاب فيمكن منه أولياء المقتولين ليقتلوه قصاصا، وإن لم يتب، فيقتل حداً لكفره، وقد خسر خسرانا مبينا، ويحق عليه قوله تعالى «ومن يقتل مومنا متعمدا..»[18] «الآية» فالسيف يحكم عليه على كل حال، فهذا هو الحق».

فإذا كانت نصوص شرعنا المقدس تحكم على المولى عبد العزيز المخلوع بما ذكرنا، فكيف يسمى سلطانا بعد ؟ أو تلزم أحدا بيعته أو طاعته ؟ لأ[ن]ـه ما أمر الله أن يطاع إلّا أولو الأمر منا في قوله سبحانه : «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم»[19]. وهو ليس من أولى الأمر، ولا منا.

أخرج مسلم في صحيحه، عن عباده بن الصامت رضي الله عنه، قال : «دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعنا، فكان فيما أخذ علينا أن بايعناه على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا واترة علينا ولا ننزع الأمر أهله، قال إلا أن يكون كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان»[20].

قوله عليه السلام بواحا بالواو والراء، والأول أكثر، وهما بمعنى، يقال باح الشيء إذا ظهر واشتهر، فالمعنى إلا أن يكون كفرا ظاهرا مشتهرا، قاله الأبي في شرح مسلم.

ونقل عن القاضي عياض ما نصه : لاخلاف أنه يجب على المسلمين عزل الامام إذا فسق بكفر، وكذلك إذا ترك إقامة الصلاة والدعاء إليها، أو غير شيئا من الشرع، انتهى من الابى، ونقله ابن الشاط في حاشيته أيضا.

وأولو الأمر في الآية المذكورة ليس منهم عبد العزيز قطعا، لأن المراد في الآية من وجبت طاعته من الأمراء والولاة، وهو قول أكثر السلف في الآية، واستدل بعضهم بما جاء من قبل الآية «وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل»[21]. وقد علمت أن صاحب الرباط ليس ممن تجب طاعته لعدم توفر شيء من شروط الملك فيه؛ فإنه لم يصل إليه بالاستحقاق، بل بالتغلب والاستبداد.

وقيل المراد بأولى الأمر في الآية، العلماء. وقد علمت أنه ليس منهم. وقيل هم أصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

فإذن المولى عبد العزيز ليس بسلطان شرعي، وخلعه ثابت لا مغير له، فإذا طالع المطالع المنصف ما أوردنا من نصوص أئمة شرعنا المقدس المتضمنة للحكم بتعين خلع بيعة عبد العزيز عن أعناق المسلمين، وإزالة رفعته عن قلوب المؤمنين، فكيف يسوغ لأحد أن يسوء الظن بالسادات العلماء، بارك الله في جموعهم، وحفظها من التشتيت، وينسبهم على سبيل التهمة للاكراه فيما صدر منهم من الإفتاء بتعين خلعه، بل وإيقاعه بالفعل...».

مفاكهة ذوي النبل والإجادة، حضرة مدير جريدة السعادة

عبد الحي الكتاني

ص : 25 — 29

هوامش

1) يقصد السلطان عبد العزيز.
2) يقصد وديع كرم، رئيس تحرير جريدة «السعادة» في ذلك الحين، وهو لبناني وأحد صنائع الصدر الاعظم الجباص.
3) وزير الحربية المغربية آنذاك، المهدي المنبهي.
4) الكلمة غريبة عن السياق ولعله يريد قنابل أو قنابر.
5) أصل الكلمة في النسخة الحجرية المعتمدة «الغير»، وهذا خطأ، لان «غير» التي ترد بمعنى الاستثناء أو الصفة، لا يلحقها التعريف بأل، و«الغير» المعرفة هي التغيير والتبديل.
6) أصل الكلمة في النسخة «عما بد» !
7) «المتشرعون» و«شرع» لا يأتي على وزن تفعل.
8) هكذا وردت الكلمة والمعنى يتطلب كلمة «يعتبرونه» أو «يعدونه» أو ما يرادفهما.
9) الحرب مؤنثة وتذكر على معنى القتال.
10) يقصد الحرب السبعينية وسيسميها بعد قليل.
11) 15 أو 10، لان الارقام في النسخة تكتب تارة بالترقيم الهندي وتارة بالترقيم العربي.
12) في أصل النسخة 187.
13) يقصد السلطان عبد العزيز
14) في أصل النسخة (إذ ذلك).
15) لعله يقصد جيش مولاي الامين.
16) صحيح مسلم، إمارة : 139 ــ سنن أبي داود، .هاد : 11 مجتبى النسائي جهاد : 47، 48.
17) صحيح مسلم، إمارة : 139، سنن أبي داود، جهاد 11، مجتبى النسائي، جهاد : 47، 48، سند ابن حنبل 5 /352، 355.
18) بقية الآية «... فجزاؤه جهنم خالدا فيها..» الآية 93، النساء.
19) الآية 59، النساء.
20) صحيح مسلم، إمارة : 69.67 ــ سنن ابن ماجة، إقامة : 54،16 صحيح البخاري أحكام : 44 سنن الدرامي، سير 17 ــ مجتبى النسائي، طهارة 118، ماجد 11، مسند ابن حنبل : 3 /434 ــ 4 /19 ــ 5 /35.
21) الآية 58، سورة النساء.

ـ زنقة الأمير مولاي عبد الله، عام 1915 و1956.

واقعة الدار البيضاء

الحاج محمد راغون

(... 1337)

ترجع أهمية مقالة «واقعة الدار البيضاء» إلى كونها كتبت في فترة قريبة نسبيا في حادثة الدار البيضاء، كتبها الفقيه والكاتب والوجيه الحاج محمد راغون الأندلسي التطواني المتوفى سنة 1337 هـ.

وتستمد الوثيقة قيمتها من مكانة صاحبها، فقد حضر تأسيس أول حكومة خليفية رئيسها الصدر الأعظم محمد بن عزوز بتطوان. وأسندت إليه مهمة الكاتب العام للمجمع العلمي المغربي المؤسس بتطوان يوم 30 /12 /1916

نشرت بمجلة «الانوار» التطوانية ع 27 /14. 15 ـــ يناير وفبراير 1952.

«..وحاصل هذه الواقعة.. أن الحضرة الشريفة العزيزية، عقدت كنطرادة، مع شركة فرنسية معروفة بالكومبانية المغربية على جعل مرفأ بمرسى الدار البيضاء، مثل ما عقدت مع كمبانية ألمانية في شأن بناء مرفأ بالمرسى الطنجي، ولما شرع عملة الشركة في هذا البناء، مدت سكة حديدية للاتيان بالحجارة الصلدية، فمرت بالسكة على طرف من مقبرة المسلمين وأملاك لبعض المالكين، وفي إثر هذا الامر.. اقتضى نظر الحضرة الشريفة جعل مراقب فرنساوي يعاين أشغال الدواوين، فعين الرقباء، وشرعوا في ما أمروا به، وجلسوا في أغلب المراسي، ومن جملتهم من توجه للثغر البيضاوي جلس فيه، فتحرشت لذلك القبائل، وكثر فيها المقول والقائل، واجتمع منهم قرب المدينة، ودخلت طائفة منهم لحاكمها لمشاورته في النازلة، فقابلوا السيد بوبكر بن بوزيد، وكلموه فيما صدر من زيد فأجابهم بأن الامر هين، لا بأس به وأنه بصدد مباشرة أمره، ووعدهم بالرجوع اليه غدا ليجيبهم بما باشره من القضية حتى لا يقال إنه تعدى، فخرجوا على ذلك ورجعوا في الوقت الموعود به هنالك. فبقوا خارج المدينة لانتظار من يرد عليهم منه عامل، وبقوا ينتظرونه حتى انصرم الاجل وخاب لهم الامل، فقاموا لابسين ثوب الحيرة، مؤتزرين

مئزار الغضب والخيبة، قاصدين السكة الممتدة، وحملوها عن محلها بشكل كلفة ومحنة، وفكوا ملاقيها.. وعند رجوع العربة الحاملة للحجارة، وألفت الطريق منقطعة، عزمت على إصلاحها لتصل إلى محلها بكل سرعة، فنزل العملة لإصلاح الفاسد، ظانين أن فاعل ذلك فر بنفسه حيث صادف الفراغ الكاسد، فمانزلوا حتى تكلمت فيهم القراطيس، وقضى الاعراب في الفرنسيس غرضهم بكل فظاظة، فمات من الفرنسيس ثلاثة ومن الاسبانيول اثنان، ومن الطليان ثلاثة، ومنهم مجروح واحد، ومن البرتغيز جريح واحد، ومجهول الجنسية أحرق، فالجميع أحد عشر.

وكانت الواقعة في ثامن عشر جمادى الثانية 1325، ونادى الاعراب بالجهاد في المدينة، ثم تناقلت الاخبار لكل جهة، وبالخصوص إلى أروبا، وبوجه أخص إلى فرنسا، فقامت وقعدت وأبرقت وأرعدت وأعلنت احتلال الدار البيضاء، فوجهت مراكبها لمياه الثغر، المذكور ولا زال الاعراب مصرين، على فعلهم حتى أدت بهم جسارتهم على مد اليد في ديار نواب الاجانب وقناصلهم فعندئذ طلب قنصل فرنسا من كبير المحلة التي كانت هناك، عم الجناب العالي بالله مولاي الأمين بن عبد الرحمن ان يساعده على إنزال خمسين من عساكرهم لحراسة داره، فأجابه الشريف المذكور بأنه ما دخل من المحلة للبلد بجيشه وعسكره إلا لتهدين الروعة وإخماد الفتن، وها هو موجود لان يعطيه ما يكفيه للحراسة من العساكر المخزنية، فرد عليه القنصل بأنه لا تطمئن نفسه لذلك ولا ثقة له بالموجودين عنده الآن لحراسته.. فأجاب الشريف بالمساعدة على انزال العسكر المشار إليه بشرط أن ينزل في الصبح قبل أن تعمر المرسى، ووقع الاتفاق على ذلك.

وفي صبح الغد، نزل خمسون من عسكر فرنسا، وأربعون من عسكر اسبانيا، فلما وصلوا إلى باب المرسى وجدوها مغلقة فدقوا فأجيبوا برصاصة من سور البلد جرحت واحدا من العساكر، فلم ينفعهم سوى كثرة الدق حتى فتحت الباب، فبادروا فاتحها بالضرب بتفالة المكاحل، وكذلك كان عملهم في سائر الطرقات إلى أن وصلوا لديار قناصلهم. وبذلك تحزبت الاحزاب من الاعراب، وأتت للمدينة من كل فج، وشرعوا في الضرب والفتك والقتل، ثم أطلقت المراكب الحربية الفرنساوية أفواه مدافعها على نواحي المدينة وما قرب منها فأجابها بعضهم بمدفع قديم من بعض الابراج، فالفتها حجة، وقصدت ذلك البرج فهدمته

وأهلكت من كان به، واتبعته بحومة من أحوام المدينة المجاورة له، وصارت تقصد المحلات الفارغة من الاجانب وتهدمها حتى صارت المدينة خرابا يبابا. وقد حصل من الموتى والجرحى ما لا يعد ولا يحصى، ثم أنزل الفرنسيين 2400 من العساكر زيادة في تحصينها بعد تخريبها وتشتيت شمل أهلها وجرد من بها، من الاسلحة، وأكثر البحث في الديار والاماكن حتى جمع سائر أنواعه. وشرع العامل ابن بوزيد، ومن معه من بعض الاعوان واليهود، في جمع الموتى ودفنهم. ولما كثر عليهم الامر وعظم، وتفاحشت الروائح الكريهة، جمعوهم بمحل واحد وأحرقوهم. وأما الجرحى فجمعوا بجامع وصار الاطباء يعالجونهم، كما أن جرحى الفرنسسيين جمعوهم بدار القائد الحاج المعطى المزمزى يعالجونهم كالمستشفى، ولا زالت الاعراب تهاجم المحتلين وتحدث مضاربة بين الفريقين مجهولة الحال لإخفائها. وإن كان الفرنسيس، يستظهرون بما يفيد أنهم يقتلون ولا يقتلون، ولكن ما يأتي من الغير من إفادة الضد، يؤيده حرص الفرنسيس على كتمان الحقيقة وامتناعه من الاطلاع على الوقائع.

ثم أن كبير الفرنسيس الذي هناك أرسل ذات يوم في طلب العامل ابن بوزيد، فلما ورد لعنده وجد بعض العسكر في انتظاره، فتوجهوا به للمرسى، ومنها اركبوا مركبا حربيا بقي به مدة هناك، ثم توجهوا به لوهران، ومنها أتوا به لطنجة ووضعوه في المركب المقيم بمياهها المسمى «جان دارك»، وبقى به إلى أن سيأتي بحول الله ما آل إليه أمره — كما أن أمر الدار البيضاء بقي ما بين هجوم الاعراب عليها ودفاع المحتلين عنها مرات متعددة، كل مرة يقع فيها موت وجرح من الجانبين، غير أن تفصيل الوقائع مجهول مكتوم غاية الكتمان. لانقطاع الاخبار من تلك النواحي إلا ما يوافق غرض المحتلين، وذلك لامور منها خوف وصول ما يشوش أفكار عامة فرنسا وينشأ منها مرج ومرج، ومنها خوف شيوع ذلك بين الامم عموما والمغاربة خصوصا، وتنال دولة فرنسا من ذلك ما تناله من الازدراء..الخ الخ...».

ـ ساحة دكار (ملتقى شوارع : المقاومة ، إميل زولا ، خريبكة ، عبد الله بن ياسين) . في سنتي 1923 ، 1953

احتلال الدار البيضاء

شاهد عيان

إذا كانت مصاهرة عائلة «مدينة» لعائلة «راغون» قد مكنت أحمد مدينة، مدير مجلة «الانوار» من الحصول على مقالة «واقعة الدار البيضاء»، ونشرها، بعد وفاة صاحبها، فإن نشرها أتاح لنا الاطلاع على وجهة نظر «شاهد عيان» لاحداث الدار البيضاء بعد مرور قرابة نصف قرن على وقوعها.

وأهمية هذه المقالة تكمن في كونها شهادة لاحد الكتاب الذين عاشوا تلك الحادثة المفجعة.

نشرت بمجلة «الانوار» ع 28 / 13 وما بعدها ـــ مارس وأبريل 1952

من الاسباب الظاهرة أن حكومة المولى عبد العزيز ـــ رحمه الله ـــ كانت قررت بناء مرفأ بمرسى الدار البيضاء، فاتفقت مع شركة افرنسية وجعلت معها عقدا على بناء المرفأ المذكور.

وقد شرعت الشركة في أعمالها التمهيدية فاحتلت محلا مجاورا للمرسى كانت فيه مقبرة قديمة، جعلته ميدانا لاشغالها ومستودعا لآلاتها وأدواتها، ومدت خطا حديديا لقطار صغير لنقل الحجر من محل يسمى «عين مازي»[1] فهذه الحركة شغلت عقول القبائليين الجوار، وكثر بينهم القيل والقال، وكان في نفس الوقت بقبيلة الشاوية الامير مولاي «لمين»[2] ومعه قوة عسكرية يراقب الاحوال هناك ولما شعر بروح الثورة تنتشر، دخل بعسكره للدار البيضاء، وخيم بالسور الجديد الملتصق بالمدينة من جهة الغروب، الذي هو عبارة عن ساحة واسعة الاطراف على شاطىء البحر بسور من جميع الجهات، ولها باب للمدينة وآخر لخارجها، كان بناه السلطان مولاي الحسن ـــ قدس الله روحه ـــ مخصصا لبناء دور الاجانب

على حسب أذواقهم. ولم تتحقق الفكرة وبقى المحل المذكور فارغا لم يبق فيه شيء حتى إذا ما جاء جيش مخزني نزل فيه.

ثم إن المخزن أصدر أمره بجلوس المراقبين بديوانات المغرب مع الامناء بدلا من أن يأخذوا الستين في المائة من الدين الذي كان على المغرب لفرنسا من غير أن يجلسوا مع الامناء سابقا. وصادف جلوس المراقب بديوانة الدار البيضاء نفس اليوم الذي ابتدأ القطار يسير من المرسى إلى «عين مازى» ينقل الاحجار وشرع عمليا في مشروع المرفأ. ثم شاع الخبر في القبائل المجاورة، فقامت قيامتهم، واعتبروا هذه الحركة إهانة لهم، وحينئذ بعثوا جماعة منهم لمقابلة أولى الامر وللبحث عن الاسباب التي نتج عنها هذا الحادث غير[3] المنتظر، فقصدوا مولاي «لمين» يطالبون توقيف القطار وإخراج المراقب من الديوانة. ومع الاسف لم يقابلهم في اليوم الاول وأجلت المقابلة للغد،فرجعوا من حيث أتوا،وعادوا إليه في اليوم الثاني،فلما طلبوا مقابلته، قالوا لهم أن الامير لا زال نائما ولم يجرؤ أحد على إيقاظه. فكان هذا الجواب هو الرئيسي للتمرد،والخطوة الاولى في الاعمال الثورية. وانطلقوا يطوفون أولا في شوارع المدينة وينادون بالجهاد، ويحذرون الناس من البقاء في الدار البيضاء، ويستنهضونهم للهجرة لاجل ثلاثة أيام، ومن خالف فدمه هدر.

أما أولو الامر، فبقدر ما وصلت إليه الحالة من الخطورة، كان موقفهم موقف الحائر الذاهل، رغم ما لديهم من القوة المسلحة التي كانوا يستطيعون أن يخمدوا بها هذه النار، وينقذوا قطرا بأكمله من اندلاعها، وحيث إنهم لم يتداركوا الامر استمر المتظاهرون واشتد حماسهم ولم يقفوا عند حد، بل صاروا يضربون من وجدوا في طريقهم، ثم عمدوا إلى السكة الحديدية وحطموا القطار وقتلوا سائقه وأعوانه، وبعد هذا توجهوا لمحل الخدمة (عين مازي) فقتلوا من سقط في أيديهم من العملة الاجانب والباقى فر بنفسه ولجأ إلى «قور» بعزيب قرب معدن الحجر واختفوا فيه، ومن العملة الاجانب أيضا من رمى بنفسه في البحر فالتقطته زوارق المراكب الراسية بالميناء حيث كانت تحمل الحبوب، وكانت تشاهد منها الحوادث على الشاطىء.

أما ما يرجع لامر الحكومة، فقد جاء الباشا لدار المخزن، واستدعى قناصل الدول الاجنبية، وجماعة من الشخصيات منهم أمناء الديوانة والمحتسب وأمين الاملاك، وجاءت فرقة من عسكر مولاي «لمين» لدار المخزن وذلك في الساعة التي

كان المتظاهرون يفتكون ويحطمون، فلما اجتمع المدعوون خاطب الباشا أبو بكر ابن أبي زيد القناصل يطلب رأيهم في القضية، فكان جوابهم بلسان واحد: نحن أجانب ولا دخل لنا فيما ليس من شأننا، بل أنت المكلف عند المخزن. وخرجوا من حينهم، وزاد في الحديث معه نائب قنصل فرنسا أثناء خروجه فقال له بواسطة الترجمان اليهودي الزكوري ــ وأنا أسمع ــ «أنت الذي عملت هذا كله وأنت المسئول عن جميع ما يقع». فقال الباشا وهو في حالة الجزع والدهشة «ماذا عملت أنا ؟» فقال له النائب «أنت عالم بهذا الامر من البارحة فماذا اتخذت من الاحتياطات ؟ وما منعك من اخبارنا قبل وقوع الحادث فقد كان في وسعنا تأخير المراقب عن الجلوس مع الامناء وتوقيف القطار عن العمل ريثما تتخذ التدابير لذلك».

في هذه الاثناء كان مدير الشركة يتردد لدار المخزن يخبر أن المتظاهرين يقتلون العملة ويطلب نجدة من العسكر الواقف هناك لإنقاذ العملة،وأخيرا بعد فشل المحادثات، خرج العسكر والخيالة وانقذوا العملة المختفين في العزيب، وجمعوا جثث المقتولين، وادخلوا الجميع للبلاد، وانتهت حوادث اليوم الاول.

بعد هذا فرقوا العسس على دور القناصل، خشية الاعتداء عليهم، وباتت المدينة هادئة، ولكنها في اليوم الثاني أصبحت محتلة بالعربان المجاورين بالخيل والمشاة. جلس بعض رؤسائهم بباب المرسى، وقد ابتدأ تجار اليهود يفرون إلى البواخر الراسية هناك، بعد أداء واجب الخروج للرؤساء الجالسين. ولم يبق منهم، أي اليهود، إلا الفقراء، وقد حاول بعض المسلمين الفرار عن هذا الطريق، ولكنهم منعوا من جانب الوكالات(4). دام الحال هكذا ثلاثة أيام من غير أن يحدث أي حادث. وفي صبيحة اليوم الرابع، رست باخرة حربية افرنسية صغيرة اسمها دشيله Dochela، وبمجرد وصولها طلع إليها نائب قنصل فرنسا ونزلت معه فرقة من عسكر مولاي «لمين» يعزفون بموسيقاهم، واصطفوا على الشاطىء كأننا في حفلة استقبال سلمي، والكل في انتظار ما يأتي به النائب وبعد حين رجع وبيده إنذار من ربان الباخرة يحتوى على الشروط الآتية :

أولا : يجب أن لا يبقى أحد من المحتلين المجتمعين بباب المرسى.

ثانيا : خروجهم من المدينة حالا.

ثالثا : إبعاد الناس عن السكة الحديدية من المرسى إلى محل الخدمة. وإذا وصلت الساعة الثالثة وبقي الامر كما هو، فسيكون مضطرا لقنبلة المدينة بدون تأخر.. وهذا الإنذار بلغه النائب للباشا ابن بوزيد وحده فانقلبت عوالمه، وعظم عليه تنفيذه، ورآه من المستحيل، وإنما حين عرض ذلك على الامناء ــ وكان معهم قواد العسكر ــ أخذوا يبحثون عن المخرج والحل السريع، فدبروا حيلة لإخراج الاعراب من المدينة، حيث كان هذا أصعب ما في الإنذار. وبعد الاخذ والرد، قر رأيهم على أن يستدعوا رؤساء الاعراب للمفاوضة. وفعلا حضروا معهم وأثبتوا لهم أن المسألة خطرة وقد أصبح من الواجب علينا جميعا، والحالة هذه أن نجتمع في محل متسع، بحضور جميع القبائل ورؤسائهم، وبعد أن نأكل الطعام مع بعضنا، نقرر خطة الدفاع وتنظيم المقاومة؛ لان الدار البيضاء في كفالتكم ولا فرق بيننا، وبينكم، بل كلنا مسؤولون عن حماية بلادنا. فاستحسنوا الفكرة، واتفقوا على أن يكون الجمع «بغرسة فتيح»، وصدر الامر بإخراج الخبز والسمن والسكر وسرعان ما نادى الرؤساء في إخوانهم بالخروج «لغرسة فتيح» ولم يتردد الفرسان عند ما سمعوا النداء، والموائد تنقل على الرؤوس، فهرعوا كلهم إلى محل الاجتماع وتركوا المدينة فارغة، وفي نفس الوقت كان قواد العسكر متأهبين لاحتلال المدينة، وحصنوا أبوابها بالعسس المسلحة، وبقي العربان خارج المدينة منفصلين عنها، وأوقفت الحراسة على السكة، وتحققت الرغبة، وسلم اليوم من الحوادث.

وفي الغد، أصبحت البلاد في غاية الهدوء، وفتحت الديوانة والمتاجر، ورجعت المياه إلى مجاريها، واستمر الحال هكذا نحو الاربعة أيام، وظن الناس أن الخطر قد ارتفع وحل محله السلام، وحتى الاعوان كانوا يدخلون للمدينة يبيعون ويشترون ولكن بدون سلاح، غير أن هذا لم يكن كافيا في نظر قنصلية فرنسا، ولم تر فيه الضمانة الكافية للاروبيين القاطنين بالدار البيضاء، بل كانت أوثق ضمانة عندها هي نزول العسكر الفرنسي لحمايتهم..

أما رجال حكومتنا الموقرون، فقد اقتنعوا بالهدوء المؤقت، وظنوا أن الامر قد انتهى، وعادوا إلى حالتهم العادية دون أن يفكروا في شيء إلى أن وصلت رسالة لمولاى «لمين» من القنصلية الفرنسية على سبيل الإخبار بأن الواجب يقضي بإنزال فرقة من عسكر الباخرة لحماية قنصلية فرنسا ورعاياها، حيث لا ثقة لهم بحراسة العسكر المغربي.

وصلت هذه الرسالة في النصف الاخير من الليل. فمولاي «لمين» كلف الباشا للقيام بهذه المهمة،ومن سوء(...)[5]فبدلا من أن يباشر المسألة بنفسه بما يستطيع من الحكمة والتعقل، مكن مفاتيح باب المرسى لاحد المخازنية وأذن بفتحها لدخول العسكر، من غير أن يعطى المسألة أي اهتمام ولا أن يقدر خطورتها.

نفذ المخزني ما أمر به الباشا، وكان ذلك قبل طلوع الشمس، وفي الحين نزل ما ينيف على الخمسين من العسكر في زورق واحد، وتقدموا لباب المرسى، ومع دخولهم أطلق عليهم الرصاص من حراس الديوانة، فكانت هذه حجة لتحقيق الاماني، وأطلق العساكر الفرنسيون رصاصهم على من وجدوا هناك من المغاربة، وتابعوا سيرهم يضربون كل من يرونه في طريقهم.

وصلوا إلى القنصلية وطردوا العساكر المغاربة الذين كانوا يحرسونها، واستمروا يطلقون الرصاص من السطوح والنوافذ على المغاربة أينما كانوا، ونفس الخطة اتبعت في باقي القنصليات الاجنبية، لما كان لديهم من معلومات عما سيكون، وإمدادهم بالاسلحة للدفاع، ريثما تاتي القوة، فهؤلاء قد جمعوا رعاياهم ليلا ووزعوا عليهم الاسلحة للدفاع عن أنفسهم، وما أن سمعت الطلقة الاولى من باب المرسى حتى شرعوا في ضرب المغاربة أينما ظهروا وأينما مروا، وكذلك المركب الحربي، فبمجرد الطلقة الاولى، أخذ يقنبل برج سيدى علال القيرواني وما جاوره من الاحياء الاسلامية.

أما السكان المغاربة، فكانوا لا يزالون في مضاجعهم، حتى فوجئوا بهول المدافع وضجيج البنادق من كل جانب، فلما ايقنوا بالخطر، هرع جلهم إلى السور الجديد، وتركوا ديارهم وأمتعتهم طمعا في الهجرة مع مولاي «لمين» ومرافقته إلى البادية. والبعض من السكان لم يجد سبيلا للخروج من كثرة الرصاص في الطريق، والبعض لزموا ديارهم حيث كانت بعيدة عن الخطر. ولكن خروج مولاي «لمين» لم يتحقق، فبعدما قرر تنفيذ ما عزم عليه، تساقط الرصاص بساحة دار المخزن، وقتلت بغلته التي هيئت له، هذا وهجمت جموع القبائل لما سمعوا دوى المدافع على المدينة، ودخلوا إليها، واشتغلوا بنهب الديوانة أولا ثم مخازن التجارة والحوانيت، ومنها إلى الدور، ما عدا دور القناصل، فإنها لم تصب بأضرار. وبقيت المدينة ميدانا للقتل والنهب إلى أن وصلت النجدة من البواخر الحربية والعساكر في اليوم الثالث، فكان أول عملها قنبلة السور الجديد، وتشتيت الجمع الذي تكون

بداخله من الفارين من المدينة، فمات أناس كثيرون، وخرج الباقي للبادية، وبعد هذا اقتحم العسكر الفرنسي المدينة وفر من كان فيها من العربان.

* * *

فهذه صورة احتلال الدار البيضاء كيف ابتدأ وكيف انتهى، ولولا اهتمام ذوى النباهة والتدبير وتقديرهم للحوادث لعم الاحتلال جميع المراسى المغربية فقد رابطت عليها المراكب الحربية الفرنسية بصدد النزول بأي سبب، وقد أبلغت قنصلية كل مرسى أنه إذا وقع اعتداء على أروبى أو يهودي أو وقعت أية فتنة فإن المركب يطلق عليها نيران مدافعه، وزاد في بلاغ الرباط أن المركب سيضرب العدوتين سواء كان السبب من احداهما أو منهما معا، ولكن أهل الرباط كانوا في إعانة الحكومة، وقاموا بالواجب أحسن قيام، ورتبوا العسس من نفس الأهالي في جميع الأسواق وأحياء المدينة كلها، ومع هذا، كادت في أول الأمر أن تندلع نار الفتنة من مدينة سلا حسب ما حكى هناك، وهو أن جماعة من المتهورين أوحى إليهم شيطانهم أن يضربوا المركب الحربي الذي كان راسيا في بحر العدوتين فقصدوا برجا من أبراج سلا به مدافع متلاشية، وما كادوا يباشرون العمل حتى بلغ الخبر للباشا فركب بغلته واقتحم عليهم البرج وفرق جمعهم وأغلقه، ونظم الحراسة على الابراج كلها، وبفضله أنقذت العدوتان من التدمير.

وأما الباشا أبو بكر بن بوزيد فقد كان له مسك الختام : الحكم عليه بالسجن على ظهر باخرة حربية لمدة سنوات جزاء ما أصيبت به الدار البيضاء بسوء تدبيره وتصرفه، وحكم عليه من جانب جيش الاحتلال بدلا من أن يحاكمه المخزن، وهذا مما يستغرب، لان تهاونه وسوء عمله وعدم قيامه بواجب مهمته. لم يكن إلا وبالا على المغرب والمغاربة وحدهم، اللهم إذا كان جيش الاحتلال عاقبه نيابة عن المخزن الشريف».

---

(1) « عين مازي» محجر يقع شمال شرق الدار البيضاء بمنطقة «الصخور السوداء».

(2) الامين.

(3) في الاصل (الغير).

(4) في الأصل (دوام).

(5) بياض في الاصل.

نص من المعسول

محمد المختار السوسي

1318 — /1963

تعكس هذه الوثيقة صدى إحتلال الدار البيضاء في منطقة سوس، وموقف القبائل منه، والأسباب التي حالت دون قيام القبائل الجنوبية وغيرها بحركة جهاد واسعة، إنجادا للشاوية، وإنقاذا للدار البيضاء، ووقوفا في وجه الاحتلال الأجنبي.

وهي تتحدث عن الشيخ الحاج علي الدرقاوي (نحو 1268 — 28 /12/ 1328) والد العلامة محمد المختار السوسي الذي كان، ولمدة ثلاث سنوات يجوب الأسواق، والمواسم، وكل المجالس، مستنهضا همم القبائل السوسية لمقاومة المحتلين الذين نزلوا بالدار البيضاء.

المعسول 1 / 302 — 304

«وقد كان الشيخ لما التقت على المغرب، حلقتا البطان[1] لا يدع مجتمعا إلا نادى فيه بالبراح[2] : « إن الزمان قد استدار. وأن الكفر قد وغل عليكم وسيحتل عقر الدار» وهو في أثناء ذلك يشتري السلاح، فقد عد ما تركه بعد موته بست عشرة بندقية رومية زيادة على البنادق الأهلية، وهذا القدر من أسرة واحدة كثير فوق جهد الطاقة، وقد كان معلوما أن مثله كان يعاب عليه أن يلتفت إلى التسلح لأنه صاحب زاوية، وقد رأيت من أهله المرابطين ما رأيت من أنهم لا يكادون يتسلحون، وإن تسلحوا يكاد السلاح لا يجدي في أيديهم بين جيرانهم المغاوير كالمجاطيين والحربيليين، ولسان حالهم ينشد :

على م تقول الرمح يثقل عاتقي　　　إذا أنا لم أطعن إذا الخيل كرت

هذا في ذلك المقام بين الأهالي، وأما في الاستعداد للدفاع عن الوطن فإن ذلك مقام آخر، ويرحم الله من أظهر من ضعفه قوة وإنما الأعمال بالنيات.

ثم إن الشيخ كان يحمل معه في السياحات بندقية بين يديه وهو راكب، فهكذا ورد إلى موسم تازاروالت حيث أمر بالنداء فوق المراكع[3] : أن يتهيأ الناس وأن يستعدوا للجهاد، فإن الكفار قد دهموا البلاد. وكذلك كان يوما آخر في سوق الخميس بايت بعمران وقد اجتمع كل رؤساء القبيلة فاستحثهم على ترك المخاصمات بينهم، وأن الوقت قد حان ليتكتل الناس كلهم أمام العدو ويجب على جميع الرؤساء أن يأمروا المرابطين والعلماء والطلبة أن يتكموا في السلاح. فهم أولى من يقود الناس إلى الشهادة في سبيل الله. فبينما يقول ذلك، إذا الاشكر ــ الرئيس هناك ــ يتخذ كلامه سخرية إذ قال له : «لن نقوم بهذا الذي تقول حتى يموت جميع أصحابك هؤلاء أمامنا ويستشهدوا، وإذ ذاك نقوم بعدكم بدورنا» فالتفت إليه الشيخ محمر العينين وقال : «أو قد استنكفت أن تسمع الحق، وأبيت أن تنقاد للنصيحة، فها انتذا تأبى أن تدافع الكفار بعيدا ويوشك أن يدهموا عليك دارك حتى يخربوها». ثم أعرض عنه الشيخ كعادته متى خاطبه الجهال، فسبق القضاء أن خربت داره بعد نحو ست سنين بيد الجيش الفرنسي الذي هاجم تلك الجهة سنة 1335 هـ فكان عبرة لمن اعتبر، ولا يزال الحاضرون الذين هم أحياء الآن يروونها من فراسات الشيخ.

وكذلك ذهب الشيخ عام 1328 هـ إلى جيوش تجمعت في هشتوكة للقتال بينها، فنادى في رؤسائها : يكفيكم من هذه الفتن يكفيكم، فقد توجه إليكم من الأعداء ــ إن لم تدافعوهم ــ من لا يكتفي منكم بمال ولا بأرض ولا بدين حتى يستعبدكم أنتم وأبناءكم. في كلام مثل هذا يتداوله الناس متى تذكروا بعد الاحتلال النذر التي يسمعونها من الشيخ ثم لا يأبهون بها فلم يعرفوا حتى خرجت البصرة.

وكذلك وقع للشيخ أيضا مع رؤساء أهل المعدر فبد صلاة الجمعة في مسجد القرية، خرج الناس إلى خارج المسجد، فوقف الشيخ يحثهم على جمع الكلمة وعلى تعيين حراسة على فرضة اكلوا، فقال له قائل إن العدو لا يزال بعيدا عنا فهو في الدار البيضاء، ولا يصلنا إلا بعد عشرين سنة إن لم يحل بيننا وبينه الدكاليون والحوزيون والحاحيون، فحرك الشيخ رأسه فقال : يا عجبا إن المسلمين كالجسد الواحد وهذا الأمر يجب أن يكون فيه الناس كلهم يدا واحدة فمتى تركنا الدكاليين والحوزيين والحاحيين فلا بد أن يغلبوا إن لم يعنهم السوسيون وأمثال

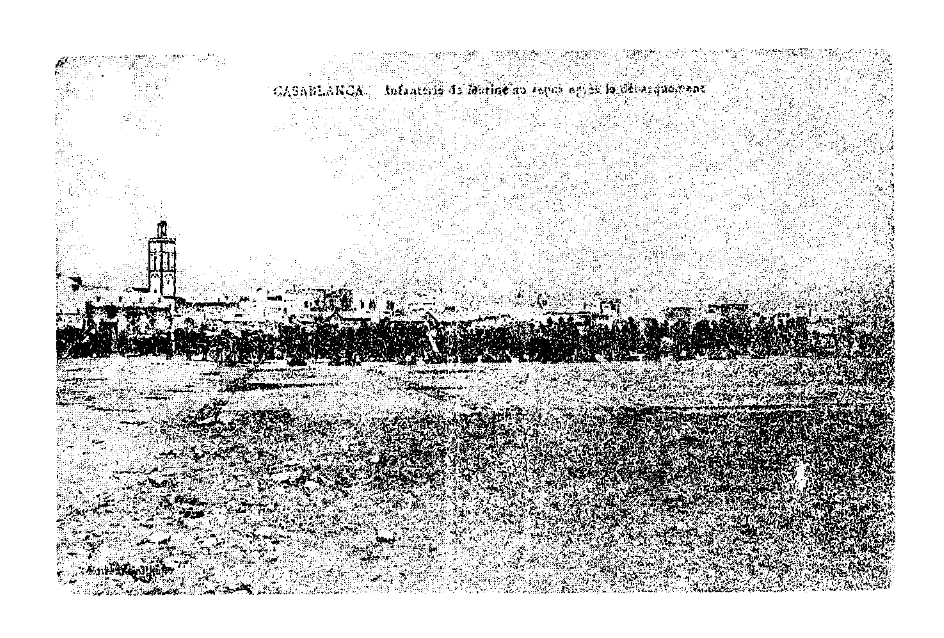
السوسيين، على أنك يا هذا ـــ يخاطب ذلك القائل ـــ تستبعد أن يصل العدو هنا إن لم يقاوم بالجد».

ثم تنفس الشيخ الصعداء واغرورقت عيناه بالدموع فقال : وأسفا أيها الناس فوالله إن لم يقم الناس في هذا الأمر قومة واحدة لترون الكفار هنا، هنا، هنا. وأشار إلى ذلك المكان ثم غلب الحال على الشيخ فغلبه الاستعبار فانفتل عن القوم.»

1) حلقتا البطان : يقصد احتلال وجدة ثم الدار البيضاء.

2) البرّاح كنشداد : المنادي في الأسواق عادة.

3) محل يجتمع فيه الناس كلهم بعد الموسم للدعاء. جوار مشهد الشيخ سيدي أحمد بن موسى.



القوات الفرنسية بعد الانزال

ـ شارع محمد الحنصالي، عام 1921 وعام 1953

3 ــ ملاحق أدبية

رسالة الى المجاهدين بالشاوية
للشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني
1290/ 1327 ــ 1873/ 1909

أمدني بها مشكورا الاستاذ العلامة محمد المنوني. وأصلها بالخزانة العابدية الكتانية بسلا. وردت فقرات منها في ترجمة «الشيخ محمد الكتاني الشهيد» : 189، 190

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صل وسلم وبارك على أشجع خلق الله. وأثبتهم قلبا، وأخوفهم على دين الله أن يضيع، وعلى آله عدد الألطاف الجاريات.

لتهنأ قبائل الشاوية في مقابلتهم العدو : بما أعد الله ــ سبحانه ــ لها، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ورباطها في مقابلة العدو، ومحاصرتها له، خوف أن ينتشر في أطراف المغرب، ودفاعها على أوطانها وحرمها ومالها وأولادها، الذين يودون أن تكفروا فتكونون سواء.

وقال تعالى : «ومن يتولهم منكم فإنه منهم، إن الله لا يهدى القوم الظالمين. فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم، يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة، فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده، فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين»[1].

ولو لم يكن في فعلكم إلا أنكم أحييتم فريضة الرباط في سبيل الله : لكان لكم الثناء الحسن، والذكر الجميل، والمحمدة والفخر، ولسان صدق في الآخرين، فكيف وأحييتم فريضة الجهاد، التي[1]م لا يقوم الدين إلا بها، وما صلح أمر أول الأمة إلا به، فلا يصلح آخرها إلا به.

عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : موقف ساعة في سبيل الله، خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود. وأخرج البيهقي عن سيدنا أبي أمامة أن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله قال : إن

3 ـــ ملاحق أدبية

رسالة الى المجاهدين بالشاوية
للشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني
1290 /1327 ـ 1873 /1909

أمدني بها مشكورا الاستاذ العلامة محمد المنوني. وأصلها بالخزانة العابدية الكتانية بسلا. وردت فقرات منها في ترجمة «الشيخ محمد الكتاني الشهيد» : 189، 190

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صل وسلم وبارك على أشجع خلق الله. وأثبتهم قلبا، وأخوفهم على دين الله أن يضيع، وعلى آله عدد الألطاف الجاريات.

لتهنأ قبائل الشاوية في مقابلتهم العدو : بما أعد الله ـــ سبحانه ـــ لها، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ورباطها في مقابلة العدو، ومحاصرتها له، خوف أن ينتشر في أطراف المغرب، ودفاعها على أوطانها وحرمها ومالها وأولادها، الذين يودون أن تكفروا فتكونون سواء.

وقال تعالى : «ومن يتولهم منكم فإنه منهم، إن الله لا يهدى القوم الظالمين. فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم، يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة، فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده، فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين»[1].

ولو لم يكن في فعلكم إلا أنكم أحييتم فريضة الرباط في سبيل الله : لكان لكم الثناء الحسن، والذكر الجميل، والمحمدة والفخر، ولسان صدق في الآخرين، فكيف وأحييتم فريضة الجهاد، التي[1]م لا يقوم الدين إلا بها، وما صلح أمر أول الأمة إلا به، فلا يصلح آخرها إلا به.

عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : موقف ساعة في سبيل الله، خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود. وأخرج البيهقي عن سيدنا أبي أمامة أن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله قال : إن

صلاة المرابط عند الله ـــ تعالى ـــ خمسمائة صلاة، ونفقة الدينار والدرهم منه : أفضل من سبعمائة دينار ينفقه في غيره.

وأخرج أبو الشيخ في الثواب، عن سيدنا أنس رفعه : الصلاة بأرض الرباط بألف ألف صلاة، إلى آخره.

وأخرج الامام أحمد ـــ بسند جيد ـــ عن أبي الدرداء يرفع الحديث : من رابط في شيء من سواحل المسلمين ثلاثة أيام : أجزأت عنه رباط سنة[2]، «يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون »[م2].

وقد تعجب الخلائق من صبركم وثباتكم، وقالوا : إنما كان هذا الصبر على عهد الصحابة الكرام، وتحقق الناس زيادة المرد المحمدى وفيوضه، وعنايته ببيضة أمته، وحفظه لهم، ورعايته لهم على ما كانوا عليه من عمل، وإن أساءوا وفرطوا وعصوا، ووقع لهم الفتور في الأوامر والنواهي.

ولكن : «وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم»[3].

«وربك الغفور ذو الرحمة»[4].

«غافر الذنب وقابل التوب»[5].

«وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات»[6].

فاجتهدوا في الأذان ولو مائة مؤذن في جيش المسلمين، وقراءة أحزاب القرآن كذلك، وبترتيب أقوام يذكرون اللطيف الكبير كل يوم، وآخرون يذكرونه كل ليلة، والحسبلة يترتب لها أقوام آخرون يذكرونها على عدد اللطيف الكبير.

«الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل، فانقلبوا بنعمة الله وفضل لم يمسهم سوء واتبعوا رضوان الله، والله ذو فضل عظيم، إنما ذالكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم، وخافون إن كنتم مومنين»[7].

والصلوات الخمس في أوقاتها ـــ مع الجماعة ـــ ولو في حالة القتال، فتعلموا صلاة المسابقة، المشار إليها بقول الله العظيم : «وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة : فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا بأسلحتهم، فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم، ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم»[8].

وقال : «إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون»(9).

وإذا هجمتم فلتصيحوا : حسبنا الله ونعم الوكيل، حسبنا الله ونعم الوكيل.

«فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الا علون والله معكم»(10).

واستودعكم الله الذي لا تضيع لديه الودائع، والسلام.

---

1) الآيات 51 — 52، المائدة : أولها : «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض...».

1) مكرر في الاصل الذي.

2) مسند ابن حنبل 362/6.

مكرر: الآية 200 آل عمران 2)

3) الآية 6، الرعد.

4) الآية 58، الكهف.

5) الآية 3، غافر، وتتمتها : «شديد العقاب ذي الطول».

6) الآية 25، الشورى.

7) الآيات 173، 174، 175، آل عمران.

8) جزء من الآية 12، النساء.

9) الآية 45، الانفال وأولها : «يا أيها الذين آمنوا...».

10) الآية 35، محمد.



الحي اليهودي خارج السور

رسالتان من الشيخ محمد الكتاني إلى بعض القبائل المغربية يحثها فيها على مساعدة قبائل الشاوية في مجاهدتها للكفار.

نشرتهما مجلة «دار النيابة»

السنة الأولى صيف 1984 عدد 70.69/3

رسالة من الشيخ سيدي محمد الكتاني إلى القبائل يحثها فيها على تقديم العون للمجاهدين في الشاوية بعد الاحتلال الفرنسي للدار البيضاء.

«يا معشر المسلمين، كيف بكم سمعتم منذ مدة أن العدو فاجأ الدار البيضاء، وحاصره المسلمون حقا وصدقا، الأبطال، الموحدون، الناصرون لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وعلى آله، المرابطون في نصرة الدين، القائمون بأنفسهم وأموالهم، وجاههم وخيلهم، لقتال أعداء الله تعالى وأعداء رسوله، ومدافعتهم عن بلاد المسلمين، فلم تعينوهم ولم تأتوهم، ولم تفرضوا لهم فرضاً من عندكم، مع أنكم أيضا شجعان، وفرسان، وموحدون، وأهل مال وقوة، ونجدة وإقدام، وغيرة على الدين، حتى تموتوا عليها... وإنكم لا تميلون مع الكفر، ولا مع من يحب الكفر، ولا تعينوهم ولا تجتمعوا بهم، ولا تساكنوهم، ولا تطاعموهم، ولا تزوجوهم، ولا تتزوجوا منهم، ولا تمشوا معهم في الأسفار.. فعليكم إخواني بحراسة إخوانكم المسلمين، وحماية المستضعفين من المؤمنين، والمدافعة عن بلادهم، وإعانة جماعة المجاهدين، ومواساتهم تسعدوا سعادة أبدية، وتحرزوا سيادة سرمدية، وتفوزوا بخير الدنيا والآخرة».

رسالة أخرى من الشيخ في نفس الموضوع :

«..فلم يكن الا كلمح البصر أو أقرب حتى غار أيضا على بني زناتة[1] (زناتة ؟)؛ وعوينه سيدى ملوك، ومديونة، مع مجيئه قبل بمدينة وجدة، وجاء من خدعكم بالدنيا الفانية التي أفسدت الدين، والملك والمروءة والشرف والرياسة، وأورثت بلاد المسلمين للكافرين، فذهب أحزاب منكم، وما كنا نظن إلا أنكم عقدتم الأخوة الدينية وتطاعمتم، وصرتم كالذات الواحدة مع جيرانكم المسلمين، كأهل زمور والشراردة، وأهل الغرب والشراكة واولاجامع، وتتفقوا على كلمة واحدة، ولا رجوع فيها و [لا] نقص ولا تبديل ولا تغيير..».

---

1) زناتة : القبائل الواقعة بين الدار البيضاء والمحمدية.

الـزازيـــة

محمد بن عبد الله بن المبارك المسفيوي المؤقت

مما كتبه ابنه في ترجمته (بالسعادة الابدية) : 44.43 :

«وأما قصائده الملحونة، فلا حصر لها، كلها حكم ومواعظ. وحسبك جفريته الزائية الدالة على علو مجادته الحقية، وقد اشتهر صيتها شرقا وغربا، وتداولتها الامة عجما وعربا. وأشار لذلك في بعض مقطعاته الملحونة بقوله :

هام وجدي واتحملت فوق جهدي صاح   وعدي فضل الله ما نحصر
ضاق حالي وارمت للجوفالي بان   عالي مزال اشيع خبر

نظمت «الزازية» في الفترة التي تم فيها احتلال الدار البيضاء، ثم احتلال بعض المناطق القريبة منها مثل مديونة وبرشيد.

وهي تستمد أهميتها من المرحلة التاريخية الدقيقة والحاسمة التي كتبت فيها، حيث انها استوعبت روحها وتمثلت أجواءها، ومن المنطقة الجغرافية التي شهدت تشكلها، فقد كانت مراكش، في تلك الفترة، عاصمة الثورة الحفيظية وبؤرة التغيير، وقبلة المتطلعين إلى التجديد انقاذا للبلاد، وصدا للاحتلال الاجنبي.

وأمدني بمتنها مشكورا فضيلة العلامة أحمد الشرقاوي إقبال.

1 أَسَّايَلْنِـــي انْفِيـــدَكْ ابْكَافَرْ بارِيزْ
اسْتَافَدْ كُنْ فَايَقْ وَاتْبَعْ الْغُرْزَا

2 سُكَّانْ الْغَرْبْ ضَنْهُمْ عُبَّادْ الْوِيزْ
فِيهُمْ الِّي يْبِيعْ دِينُـو بالْخُبْـزَا

3 بِالظَّنْ الْخَاسَرْ الْجْرِيمْ انوا كِيلِيزْ
يَبْنِي لَقْصُورْ فِيهْ، وِيْقَابَلْ لَكْزَا

4 وِيضَالِي عَلْ الْقُومْ بِالّلوِيزْ وُلَهْمِيزْ
حَتَّى يَلْقَى إِيدِيرْ فَالبَهْجَا خَنْزَا

5 طَمْعْ الْمُحَالْ حِينْ جَا وَبْغَى لَكْنِيزْ
فَالْغَرْبْ إِيشِيطْ لِهْ كَزَّا بَنْ كَزَّا

6 لَاصُولَـى لَلجْرِيـمْ بِالهَـزّ أُتَدْبِيـزْ
وَلَا عَمْرُ يْدَزّ فَالْغَرْبْ المَعْـزَا

7 غَرُّوا إِبْلِيسْ فَالْحْشَا زَحْمُو بنْغِيزْ
وَحَكْمَتْ الَّله جَابْتُو فِينْ يَتْرْزَا

8 اغْوَاهْ ادْخُولْ وِهْرَانْ ابْلا تَجْهِيزْ
وَدْخُولْ اتْوَاتْ مالْقَى مَنْ فِيهْ اغْزَا

9 يَعْتَادْ الْغَرْبْ هَكْذَاكْ يْكُونْ اعْجِيزْ
وِينَالْ امْنَاهْ فِيهْ ويـدْرَكْ البَـرْزَا

10 اسْطَوْتْ الَّلهْ دَايْرَا بالغَرْبْ ارْكِيزْ
وَخضَرْتْ اصْوَارَمْ المْخَازِي بِالْفَرْزَا

11 مَحْمُولْ على الْفضَالْ مَا يَرْضَى ئخْيِيزْ
تَنْجِيهْ عْلَى الشْرَاكْ وَلَوْ بَالدَّبْزَا

12 ما هَمُّوهْ الْبْطَالْ يَخْشَى باكُنْزِيزْ
بَالْعُنْفْ إِيذُورْ فِيهْ بَفْرَاخْ الْوَزَّا

13 شْلَّا بَسْفَاهْتُو وَلَا نَفْعُ تَخْبِيزْ
وَلَا جَرْحُوا ارْتَاحْ مَنْ حَرّ الْفَرْزَا

14 امْضَاتْ إِيَّامْ بَانْ فِيهَا كَانْ ارْمِيزْ
فِيدِيهْ اتْشَانْكْ وُ نَغْلَبْ بَالْغَمْزَا

15 وَالْيُومْ اضْحَى يْسِيرْ عَنْدْ اوْلَادْ اخْرِيزْ
فَالْقَـبْضَا لَازْمْ افْعَمْـرُ يَتْعَـزَّا

16 لَوْ كَانْ الْقَى يْزُوكْ فِي يْهُودْ امْزْمِيزْ

وَلَّا عَنْدْ الكْنُوسْ فَالْبَرّ يِتَّخْزَا

17 امْثَلْ فَارْ الْخْلَا إِلَى خَلَّا كَرْزِيزْ

وَمْشَى عَنْدْ الْمَشَاشْ لَمْصَايَدْ لَغْزَا

18 اللَّه اللَّهْ قُلْتْ وَرْمَيْتْ الْفَرْزِيزْ

اوْرَيَا ما نْخَافْ تَوْصَلْنِي حَـزَّا

19 لِله الْحَمْدْ مُلْكْنَا نُورْ اليَبْرِيـزْ

مَوْرُوتْ امْنَ السْلَافْ دَايَمْ فَمْعَزَّا

20 الَّلهُمَّا ابْجَاهْ مَنْ فَالْكَوْنْ اعْزِيزْ

طَهَ نُورْ الْكْوَانْ، ولْيُوتْ الْبَهْزَا

21 وَاهْلُو وَاتْبَاعْتُو هَلْ المَجْـدْ أُتَمْيِيزْ

وَجْمِيعْ اهْلَ السْرَارْ وَادْرِيسْ وُكَنْزَا

22 تَجْعَلْ لَفْـرَنْسِيسْ مَثْـلْ الْبَرْتْقِيـزْ

إِيغَنْمُ فَالْبْـلَادْ مَنْ به اسْتَهْـزَا

23 مَنْ هَذِ مَا يَفْلَتْ عَنْقُو مَـنْ لَكْرِيزْ

فَالْقَرْجُوطَـا ارْجَـعْتْ لَلكَافَـرْ لَزَّا

24 هَذَا القَاعَا صْفَاتْ مَا حْتَجْتْ تَغْيِيزْ

وَضْحَى خَبْلْ الْعْكِيدْ مَرْخُوفْ الكُرْزَا

25 صَبَحْ الكَافَرْ بِحَرْبْتُو .مَضْرُوبْ فْيِطِّيزْ

سَيْفْ القُدْرَا افْسَرّتُو طَعْزُو طَعْزَا

26 هَاكْ الْغَزْلْ الرّقِيقْ فَالْمَوْهُوبْ اغْرِيزْ

مَغْزُولْ افْسَاعْتْ الْغْزَا مَنْ ثَلّتْ اجْزَا

27 لَا تَعْبَا بِالْهْمِيزْ وَلَا بِتْخَرْبِيـزْ

فَالْغَرْبْ الّلِي اقْوَى إِيرَدُو بِالْوَكْزَا

28 سَبّقْ البَا وَحَمَّلْ الرَّا بَعْدْ الْمِيزْ

وُبَالْيَـا اكْمَالْهُـمْ تَوْخِيـزْ الْهَمْـزَا

29 هَذَا تَوْهِيبْ مَنْ اقْصَى قَلْبْ الْهَبْرِيزْ
مُوقِّتْ الْبْــلَادْ عُنْوَانُـــو رَمْـــزَا
30 خُذْ افْتَخَرْ عْلَى الْعْدَا مِيزْ أُتَرْمِيزْ
وَافْهَمْ بَنْجَابْتْ الْعْقَلْ كِيفْ التَّجْزَا
31 السَّرّْ إِلَى انْخفَاكْ شُوفْ ارْبَابْ الْمِيزْ
وَالتَّقْوَى ما بْقَى افْتَقْوَاسْ الرُّزَّا
32 ـــ وَ لَا تَلْقَاهْ حَايْزُو مُولْ الْفَـزَّا

محمد بن عبد الله بن المبارك المسفيوي الموقت

نظرا لصعوبة شرح الكثير من كلمات هذه القصيدة، ارتأيت تقديم فهم عام لمعاني أبياتها.

1 ـــ تحديد موضوع القصيدة، ونصح القارىء بتتبع معانيها، وجني فوائدها.

2 ـــ اعتقد المحتل الفرنسي أن بإمكانه شراء ضمائر سكان غرب المغرب بالمال، وأن منهم من يبيع دينه بأقل شيء.

3، 4 ـــ بهذا الظن المبني على غير أساس، قرر احتلال كليز، ليشرف منه على مراكش ويتحكم فيها، ويظل يوالي حملاته الترغيبية والترهيبية، غير متورع عن ارتكاب الفضائح في مراكش.

5 ـــ سكان غرب المغرب حريصون حرصاً شديداً على بلادهم، لذلك لن يحقق الكافر شيئاً من مطامعه الاستغلالية.

6 ـــ و لا صولة للمجرم بإثارة الفوضى وشن الحروب، ومثله مثل من يرغب في جز الماعز في سهول الغرب.

7 ـــ غواه الشيطان وأضله، وقضت حكمة الله أن يأتي إلى المغرب ليرزأ وينكسر.

8، 9 ـــ شجعه احتلاله لوهران بسهولة، واستيلاؤه على «توات» بدون مقاومة أهلها، فاعتقد أن الغرب عاجز هو الآخر عن المقاومة، وأنه سيتمكن من تحقيق أمانيه ومطامحه فيه.

10، 11، 12 ـــ جعلت قدرة الله بالغرب دعائم قوية، واستعداداً دائماً للمدافعة والمغالبة طبع سكانه على الحرية والاستقلال، وطبع على الشجاعة والاقدام والمبادرة.

13 ـــ لن ينفعه تدبيره السيء، وتصوره خاطىء، ومحاولاته العابثة، ولن تبرأ جراحه في معاركه مع سكان الغرب.

14 ـــ انفضحت أسراره في المعارك، وانكشف أمره، وظهرت حقيقته، فإذا هو دون ما يدعيه، وأقل مما يتظاهر به.

15 ـــ وان موته اليوم محقق، وهو في قبضة أولاد حريز بالشاوية.

16 ـــ ولوكان استعطافه ليهود أمزميز الاذلاء يفلته من خزي العار وشماتة الدول لما تردد في فعله.

17 ـــ مثله مثل فأر الخلاء الذي ترك جحره الامين وقصد القطط المترصدة له.

18 ـــ لقد قلت كلامي البين الفاصل هذا (القصيدة) وأنا غير خائف من التبعات.

19 ـــ مُلكنا مُلك خالص مجيد عزيز.

20، 21، 22 ـــ اللهم بجاه الرسول وآله وأتباعه العقلاء الاماجد، وجميع الصالحين والمولى إدريس وأمه كنزة، اجعل الفرنسيين مثل البرتغال ـــ في معركة وادي المخازن ـــ لا ينالون بالسوء إلا من خان أهله ووطنه.

23، 24، 25 ـــ هذه المرة لن يفلت الفرنسيون من الهزيمة النكراء، لقد قضي الامر، وأصبح الكافر الجبان مطعونا بحربته في دبره، وطعنته قدرة الله في سرته.

27 ـــ لا تعبأ بوعيد الكافر وعبثه، فالغرب يرد أقوى أعدائه بالوكزة.

26 وبقية الابيات : فخر الناظم بقصيدته، ورمزه بالحروف لتاريخ إنشائها أو لمغزاها أو لشيء آخر وذكر اسمه والفخر برجاحة عقله.

حي مرس السلطان عام 1931 وعام 1953

الدرر البهية في مدح رجال الشاوية

عبد الهادي بناني الفاسي

هذا نص زجلي يزخر بقيم لغوية وتاريخية واجتماعية ووطنية، يشيد فيه الزجال عبد الهادي بناني الفاسي بقبائل الشاوية وجهادها للكفار، ويشهر ببعض الخونة الذين هيأوا للقوات الفرنسية أسباب احتلال الشاوية. ويذكر الأسباب الظاهرة لانتفاضة الشاوية بشيء من التفصيل والدقة، وهو في هذا الجانب يتفق مع العديد من الروايات التاريخية في الموضوع.

كما يتحدث بمرارة وأسف وحسرة على احتلال وجدة من طرف القوات الفرنسية، ويدعو المغاربة إلى العمل بجد وإخلاص لاستردادها.

ويختم زجليته بمدح السلطان عبد الحفيظ، وبالثناء على مواقفه وطموحه وسياسته، وبالدعوة له بالتوفيق.

وقد أمدني بمتن هذه الزجلية العلامة محمد المنوني جازاه الله عني خيرا.

الحمد لله وحده، وما يدوم إلا ملكه.

الدُّرَرُ البَهيَّة في مَدْح رجَال الشَّاوية

الحمد للغاني لا ينظروه لبصار حمد ليس ينتهي يا صاح فلعبارا[1]
ودنا بالهادي طه شريق لنوار ايمام لوجود الماحي بازغ المنارا
الصلاة عليه من الله ليل ونهار والرضا عن آلو واهلو هل الطهارا
والصحاب الود بالمطهرين تطهار من فناوا الكفار رسياتل الغزارا

بالجهاد اشتغلوا ومضوا فيه لعمار سرت نمدح فيهم ونقول بالجهارا
يا هل الشاوية صولوا بعز وسرار بالجهاد فلجحود خنازر النصارا
سبت هذا الفتان فالضي اديجور بها ناس العقول لفضال نخبر
ناض الكافر بالعزم يصنع بابور يعين على المون وينقل الحجر[2]
حط السكه وسار يخدم ظلم وجور حتى فات الحدود وطغى وتجبر
قام عليه الهراج وتفلس وخسر[3]

مشى يغيب ورجع قل الكنوس عجلان جاوجاب العسكر ونوى يكون صاين[4]
رتب العسه باش ينال كل أمان خاب سعيو ولقى لهوال والمحاين[5]
بلبطر حركت لو من كل جيه شجعان ريتلوا البلاد وعبوا الملايين[6]
فيه قتلوا عدد الاخشو من عار السفاض المظالم وقاست خسارا
له حلفوا ثم لا ضار قدما دار لو يعرف يفنوا على الاسلام غارا
يا هل الشاويةْ صولوا بعز وسرار بالجهاد فلجحود جنازر النصارا
أنزل ولد الحرام بجنود كثيرا واعمل يد مع هل الدار البيضا
أنووا يكون لهم عز ودخيرا دخلهم فالزمان تمثيل فريضا[7]
وترن غير جر بهم لحصيرا حتى صاروا يحدثوا هاذي فيضا[8]
ولا علا من العلات عريضا

بدا يحارب لحرامي كل يوم قتال لين ما رد الراس فساعتو يولي[9]
غربت شموسو من بعد الطلوع ونضال طاحت سوارو وبقى فالفضا متّلي[10]
كل يوم يجيب محله هبيل لهبال جاح وبقى فهموم محاينو مقلّي[11]
نوض السلطان يعينو وشاع لخبار غلب الله الشاوية على النصارا
طاح ميمون الكفر اكبار وصغار صادف لمحان ولفتان ولخسارا
يا هل الشاويه صولوا بعز وسرار بالجهاد فلجحود خنازر النصارا
كم من كافر للرباط دخل عريان هاذي هانه وليس تشبهها هانا[12]
فروا وتفرقوا على جميع البلدان ارهوط كثار جات منهم عريانا
عبادين لوثان يسهلوا لمحان والدق على الاضغان لكشوط عدانا[13]
فوق نقيموا على الكوارش شعبانا[14]

اجتمعت الروم وقالوا نكثرو العداد جمع قاوى ما ينتهي ولا يلوحد[15]
نحوز قصبت مديونه يطيب المراد عاد لحكام نقولو فيدنا تسكد[16]

جاو بالحيلات وَدخلوا لها لفساد حوزوها وأصبح أوطانها منكد
زاد فلحين لقصبت بن رشيد بطار خف من رمشت عين ومن عمارا[17]
جاو بعض الشاويه ينصحو الغدار خرجُوه بحيلات الا نوى الكارا[18]
يا هل الشاويه صولوا بعز وسرار بالجهاد فلجحود خنازر النصارا
خرجوا به اللئيم فلحين للمحج ونوى يمشي سْريع قاصد مراكش
جهز مونه وجاب كل ما يحتج وترن جا على المحاين كيفتش
أوصل لو عار بين لخنادق فالفج دارت به لبطال وتفافا ودهش[19]
وبقى بينهم تالف كيف الوحش

سارت القوم تكزر فلكلاب تكزير ما نفعهم لا عد وعُدّه ولا مدافع
نزلوا لمكاحل ذاك النهار الكبير والمولي عنهم عيا و ما يدافع
جات منهم فذناب الخيل كم من يسير شوف نجم الدين فبرج السعود طالع[20]
درموا زادوا لسطات يا حضار بعدما قاستهم من قبلها خسارا[21]
زاد عمر السكتاني سريع غبار حوز البنديره بلميز والشطارا[22]
يا هل الشاويه صولوا بعز وسرار بالجهاد فلجحود خنازر النصارا
اخوا يا من تسأل لقصابي ورجع لهلا يلقيه خير لحقير الكاشف[23]
وادخل فجواه بالقهر من بعد دلع تحطم عرشو وماه لحتالا ناشف[24]
والبس ثوب لحزان عاجل واتقمع ما نفعتو قبيح لفعال مناصف
وارجع كيد فنحر هولو صادف

جاح (درود) ما نفدا عنهم بأموال ولا يوجدوا مثل ولد الزنا فباريز[25]
كان لحرامي فِصَّوْكه يدير حيال مع مشاكل ونواعر حير هل الميز[26]
خلفو (داماد) فعوض جميع لرذال وليس جاب الخبار على ولاد حريز[27]
أبدا يقاتل لعدو ما طلع له شي نيار كل يوم يخلي شضيه فوسط كارا[28]
من مدافع وسلاح كثير ما ينحصار والمجارح والموتى ماهلا عبـــــارا[29]
يا هل الشاويه صولوا بعز وسرار بالجهاد فلجحود خنازر النصارا
وما خلّا ومن كرارس د القرطاس وما خلّاو من مدافع ومهارز[30]
وما خلا ومن خوارج في تهراس وما خلاو فلبطاح من كنايز
وما خلاو من شمارر ما تقاس وما من راس من الكسدا يتفرز[31]
حين بدات البطال فيهم تغيز[31]

لو نظرت ما بهم صار من الأفات شحال من يدين أو رجلين ريت طارت
يا لها من صوكه عدات كل صوكات فبهاها لعجيب هل لعقول حارت
يا ندامتهم على فعلهم لوشات ياخسارت قل العيفات الشمايت
ابقو مليوحين فلكرار صادف نار والهموم الـــكثر والشوم والحرارا(32)
وزعوهم لكلاب أمن تسال وطيار كل طرف تفرق وحد مشى الحارا(34)
يا هل الشاويه صولوا بعز وسرار بالجهاد فلجحود خنازر النصارا
لبروص على الدوام فيهم تشفى وعليهم قام فشطه وزهى ونشط(35)
سمع لفرنصيص وحزن واتقفى ومن عيون الكنوس لمفلس نسقط(36)
جرحو محال كان باقي يترفى جرح الالو طبيب ولا يتخيط(37)
لكن كان الخبيث بلسان شيط(38)

أشحال ما خوفنا لكوازطي فجرنان كلام مردود عليه وبه مارضينا(39)
كل جمعه يأتي بجريدتو ألخوان بشي خباير شلا رينا ولا درينا
كلها موبقات الدني الشيطان ولد يبليس فعالو خايبه وشينا(40)
كيخوفنا من لفرانصيص لحمار اش يرجى من خير فولد لحمارا
ماقرا حرمه ما عند الكل توقار ما دار للصدق الا جاب لو إمارا(41)
يا هل الشاويه صولوا بعز وسرار بالجهاد فلجحود خنازر النصارا
لوريتي كيف كان لحرامي يفرح على وجده منين حازوها لكشوط(42)
واصبح ذاك النهار مسرور مطرح ليت شعرى واش طازو للمزلوط(43)
وجده دار الاسلام صغ كلام الصح دابا ربي يردها من دون شروط(44)
وعدوها في ترابها يضحى مخبوط(45)

وين سيدي يحيى سلطانها الامير ريت سر مصباح العارفين ظاهر
وين الصالحين رجالها هل الخير وين السيد عقبه راحت الخواطر
واش ما عار عليكم يا كنوز لفقير مشات وجده فحماكم حازها الكافر
يا سيوف الوهاب فجوا هذ لغيار يا هل العطفه والبرهان وليغارا(46)
وعدها خلانا تمثيل فارق الدار غايبين بالهموم عقولنا سكارا
يا هل الشاويه صولوا بعز وسرار بالجهاد فلجحود خنازر النصارا
واجب لبكا على دخولك يا وجده أبكى يا درت البها بدموع الدم

دخلوك بلا محارب لامت لعدا دخله فلحين باردا دون صوارم[47]
هاذي شده أوليس تشبهها شده لكن نرجى الكريم لجليل العالم
يهلك فِقريب هذا لجحيد الظالم

جاوبتني بلسان الحال عند لمقال فالنسا لعذرا لو جيب بصوت عالي
تاه بنو آدم مع القماش والمال ولا فعل باش ما آمر ربنا العالي
فين خيولي ورجالي كهول وطفال وين براجي وين مدافعي ومالي
وين السكان فقربي وكل جوار ما نظرت فلورا من جابت إغارا
وين بنى يزناسن ياك غير لحرار وين بنى جيل اعربان والصحارا
يا هل الشاويه صولوا بعز وسرار بالجهاد فلجحود خنازر النصارا
نهضوا يا هل الشرق تغزو فلعدو قوموا لله كلكم فساق الجد
هذا الكافر عنكم ادفع جهدو وعيون القلب ساهيا وغشاها رمد
قويو ايمانكم للحرب ازيد عرفوا من مات منكم مات مشهد
مغفور الذنب ساكن فجنات الخلد

شف لفضال الشاويه. هل النجادا أشحال هذا من شهر مقابلين للروم
شف لفضال الشاويه فزيادا عانهم بفضل رب الورى القيوم
شف لفضال الشاويه فخرق عادا كل هزبر منهم يوم اللطام محزوم
اشتبهوا بهم يا ناس الوفا ولسرار فجهاد تفوزو بالعز والتيارا
سلمو فلكلاب هل الشقا أو لشرار إيلا أنتم بغيتو تبقو فلعمارا
يا هل الشاويه صولوا بعز وسرار بالجهاد فلجحود خنازر النصارا
شوفوا جميع الفحول قام للجهاد يا سعد اللي نجا لهم قام يجاهد
نصروا دين الاسلام وغزوا الجحاد وأصبح لفرنصيص محفور وناكد[48]
ماروح طايلا ونعمى من تماد وامداد المومنين باقي فزايد
واطلع بدر الاسلام بنوارو واقد
اش وامن لارا لبطال وقت لقتال امجردا من لكساوي غير فالسراول[49]
على الخيول المعتبرا يا الفاهم رجال بالزرايم وسيوف حداد والسبايل[50]
الاسياد وجوه الجنا شموس لنجال امثيل هاذو تفخر بهم القبايل
جاهدوا فالكافر وسقوا له لمرار روحوه ميسر في حومت السقارا[51]
ماقراشي هاذي وعمات له لبصار عمرو من هاذي لجحيد لاتوارا[52]

يا هل الشاويه صولوا بعز وسرار   بالجهاد فلجحود خنازر النصارا

صولي يادرت الجمال الشاويه   لك السنصر والاسرار والعنايـا[53]

حزت لقبـول والحسان المزايـا   لأنك بقعه مشرفه فيك منايا

اتغبـطك سايـر المدون وباديـا   اتبختر يالقاصرا روح حشايـا

فحول العز يامرامي وغنايا

يالشاويه فيك رجال ما تنوجاد   يالشاويـه فالبهزا مثيـل الأسود

يالشاويه مشمـوره فيـوم لعنـاد   يالشاويـه تهزم فاللطـاع الحسود[54]

يالشاويه يسبـو لقـراب وبعـاد   يالشاويـه شرفهـم رب لوجـود

يالشاويه صول على جميع لقطار   يالشاويـــه بهم حلت لبشارا

يالشاويه جر الذيل ليل ونهار   يالشاويـه ناسك حازت اثمارا

يا هل الشاويه صولوا بعز وسرار   بالجهاد فالجحود خنازر النصارا

يا رب يالرسول وايات القرآن   والزهرا الطاهره ولحسن ولحسين

انصر دين الاسلام عن ساير لديان   وانصر يا ذا الجلال جيش المسلمين

واهزم جند الجحود يا عظيم الشان   نتوسل بك لك يا نعم المعين

فرج هذا الهموم واحمنا فلحين

ودوم سلطاني سيف الحق نور للحاظ   روح ذاتي لمجد مولاي عبد الحفيظ

قام بالجهاد الملك طيب لغراض   رايت ليسلام رفعها كاظم الغيظ

اهمام ولد همام يترك لعدا فيتبعاض   اشريف علوي بحرو بالمواهب يفيض

به يفخر جيل وراجيل زهر لحواض   قام بشروط الملك المير ناهض نهيض

سار سيره حسنه يالفاهم وناض   على شريعت جدو فتح كل تغميض

واش رامن لاراه على الكشوط مغتاض   والبطـال تشالي فلحـــرب خف من فيض[56]

يحرض المسلـمين على الجهـاد تحراض   له باع فسايـر لفنـون واضح عريض

له لهمام عهود صحاح ليس تنقـاض   إذا يقـول يوافي فوق الظنـون ويعيـظ

كلمتو مسموعة قوت لقلـوب لمراض   آه عني من وحش بهاه ساقم مريض

قام بالسنـــه والكتـــاب زال لخواض   لك فوض امرو ياذا الجلال تفـويض

خذ بيـــدو انصر المجد يخفـــاض   إذ خيلـك بيمـام الاسال يالحفيـــظ

هاك حلا فطريـز الفـــن يالحفـــاظ   بنت لفكـار ادريسيـه نهد لبغـــيض

اكـثيرت المعـاني ومنقحـــه فللفـــاظ يا نديم تغنـــى بها وصون لفــــريض
والسلام نهيب ما فاح طيب لزهـــار على الاشراف أولاد الزهـرا هل ليغـارا[57]
قال عبد الهادي يرجى عفـو الستـار الزكـــي لمشوق للحـــج والزيـــــارا

نظم : عبد الهادي بنانـي

هوامـش الـدرر البهيـــة

1) العبارة : العبرة.
2) المون : امتداد برى مرصف في البحر (ميناء).
3) الهراج : الاحتجاج، الفوضى
   تفلس : انكسر، اندحر.
4) الكنوس : الأجناس.
5) رتب : نظم، أقام.
6) بلبطر : بسرعة
   جيه : جهـــة.
   ريتلوا : قلبوا أعاليها أسافلها.
   عبـوا : أخـــذوا.
7) الزمـام : الكتابة، التسجيل
   تمثيـل : مثـل.
8) وتـرن : يبدو أنـه
   فيضـا : كثـرة
9) رد الراس : اتجـــه
   فساعتو : سرعان ما.
10) متلّي : متأخر.
11) يجيـب : يأتـي
   محلـه : دفعة عسكرية. جاح : خســـر.
12) هانـه : إهانـة
13) يسهلوا : يستأهلون، يستحقون.
   الاضغـان : الادقـان
   لكشوط : عديمي الفائدة، الارذال.

14) الكوارش : ج كرش أو ج كاروش وهو البغل
شعبانا : شبعانة محرفة، أو الاحتفال في شعبان اختتاماً لأيام اللهو واستعداداً لاستقبال رمضان أو الاحتفال عموما.
15) ولا يلوحد : وليس له حد.
16) قصبة مديونة : قرية على بعد 20 كلم من الدار البيضاء شرقا.
تسكـد : صدم، خاب أملـه.
17) قصبة بن رشيد : مدينة برشيد.
بطـار : سريـع
عمـارا : طلقة بارود أو رصاص.
18) الكارا : مدينة وسط قبيلة المذاكرة، تبعد عن برشيد بحوالي 30 كلم في الشمال الشرقي.
19) تفافـا : ارتبك، اضطرب.
20) يسيـر : أسيـر.
21) درموا : اقتحموا، اندفعوا مغامرين.
قاستهم : أصابتهم.
22) عمر السكتاني : الحاج عمر دويدو شيخ الرماية ومقدم الركب في أولاد حريز اشتهر بعمالته للجيوش الفرنسية في ذلك الحين، ونال لديها الحظوة لما قدمه لها من تسهيلات لاحتلال الشاوية، خاصة ما بين الدار البيضاء وسطات.
البنديرة : الراية.
23) الكاشف : المنافق، الزائف.
24) ادخل فجواه : خاب مسعاه، فاستكان.
دلـع : طغـى، تـاه.
25) درود : جنرال،قائد الأسطول الفرنسي الذي وصل إلى الدار البيضاء في 7 غشت 1907 واحتلها ثم احتل مديونة في فاتح يناير 1908.
26) الصوكـا : الهجمـة، الاغـارة.
27) دامـاد : جنرال حل محل الجنرال درود في 5 يناير 1908، وسع العمليات العسكرية بالشاوية فاحتل سطات مفتاح الجنوب وأزمور باب دكالة والسواحل الغربية الجنوبية التي لم يثنه عنها إلا احتجاج ألمانيا الشديد، فاضطر إلى سحب قواته إلى ما وراء نهر أم الربيع.
28) نيـار : زناد البندقيـة.
يخلـى : يتـرك.
كـارة : جماعة سكنية، دوار...
29) ما ينحصـار : لا حصر له.
ما لها عباره : ليس لها حد.
30) كـرارس : عربـات.

31) شمارر : ج.شمرير، قبعة (شاشية)
الكسدا : الجذع، الجسد بدون رأس.
32) تغيز : تسحق، تبيد.
33) الكَرار : الخلاء.
34) الحاره : جهنم.
35) فشطه : (أو فجطه) : احتفال.
36) اتقفى : انغلب، انهزم.
نسقط : سقط، لم يبق له اعتبار عند الدول.
37) يترفى : يرفأ.
38) شيط : بذيء، متسلط.
39) الكوازطي : لعله (وديع كرم)، رئيس تحرير جريدة «السعادة»، الناطقة بلسان الحماية الفرنسية.
40) شينا : شائنة.
41) إمارة : علامة.
42) كانت فرنسا تتطلع إلى احتلال وجدة للوصول إلى الملوية على أساس أن الحدود الجزائرية المغربية لا تدخل ضمن ميثاق الجزيرة (المسألة المغربية : 354) وبعد قتل العامة بمراكش للدكتور موشان اغتنمت القوات الفرنسية هذه الفرصة واحتلت وجدة في 29 مارس 1907.
43) مطرح : مستريح. مطمئن.
طازو : أعجبه.
المزلوط : الفقير المعدم.

44) شروط فرنسا للجلاء عن (وجدة) :
«1 ــ عزل باشا مراكش (عبد السلام الورزازي) واحضاره إلى طنجة، وسجنه فيها حتى يحدد التحقيق مدى مسؤوليته.

2 ــ إجراء تحقيق في مراكش يقوم به قنصل فرنسا في موغادور (الصويرة) على أن تقدم له السلطات المغربية التسهيلات للقيام بهذه المهمة.

3 ــ معاقبة الجناة.

4 ــ دفع غرامة لعائلة القتيل، وتعويض الحكومة الافرنسية نظراً للصفة الرسمية التي كان يتمتع بها الفقيد.

5 ــ تنفيذ التدابير التي طالما طالبت بها فرنسا في السابق دون أن تتمكن من الحصول عليها بالنسبة لكل الاعتداءات والأحداث العديدة السابقة.

6 ــ تطبيق اتفاقات الحدود سنة 1901 و1902.

7 ــ تنظيم البوليس الذي نص عليه ميثاق الجزيرة فورا، وذلك بإعطاء وزير الحرب (الجباص) السلطات اللازمة لهذا الغرض.

8 ــ استدعاء مولاي ادريس (ابن عم مولاي عبد العزيز) مبعوث الحكومة المغربية في منطقة الادرار، الذي تعتبره الحكومة الافرنسية مسؤولا عن التحريض ضد فرنسا في موريتانيا والادرار.

9 ــ التوقف عن امداد ماء العينيين بالأسلحة». (المسألة المغربية 354.355).

45) مخبوط : مطروح.

* سيدي يحي وسيدي عقبة وليان صالحان بوجدة.

46) فجوا : فرجوا، أزالوا.

لغيار : الغمة، النكبة.

47) لامت : جماعة.

48) محفور : مقبور.

49) مجرد : متجرد من الثياب.

50) المعتبرا : الجيدة.

الزرايم : عصي ذات رؤوس حادة

السبايل : (ج سبولة) خناجر.

51) السقارا : سقر، جهنم.

52) لاتوارا : لا طلوع لنجمه بعد هذه.

53) العنايا : الأنفة، الرفعة.

54) مشمورة : مستعدة.

55) اتمارة : الرصانة، العزة..

56) تشالي : تلوح، ترفرف.

57) هل ليغارا : رجال الصلاح في البلاد.

دالية الطاهر بن محمد الإيفراني

1284 — 1374

وفد الشاعر على العلامة الحاج أحمد الجيشتيمي سنة 1325 /1907 في ظرف اعتكرت فيه أجواء المغرب بسبب احتلال «وجدة» ثم «الدار البيضاء». فمدحه بقصيدة دالية طويلة، استنهض في جزء كبير منها، الهمم لانجاد رجال الشاوية المقاومين للاحتلال الفرنسي.

يقول في مطلعها :

أبرق بدا أم لمع ثغر منضد وغيث همى، أم قطر دمع مبرد

ثم يقول بشأن احتلال الشاوية :

فيا بدر أفق الدين، ويا ليث غابه ويا غوث ملهوف، ويا خير منجد

وهي واردة بكاملها في المعسول 6 /109 — 115.

فيا بدر أفق الدين يا ليث غابه ويا غوث ملهوف ويا خير منجد
تدارك ذماء الدين واسمع صريخه وشمر إلى نصر الهدى وتجلد(1)
فقد انشب الكفر المداهن نابه ومد إلى سرح الهدى كف مفسد(2)
وكاد بأنواع المكايد أهله وصار ينادى : (خامرى وتلبدى)(3)
أسر احتساء في ارتغاء وما له سوى الدين من مرمى يرام ومقصد(4)
وقد بلغ السيل الزبى بظهوره وإن لم يداو العر بالكى يزدد(5)
فقد طبق الصحراء بالنحس شؤمه واعدى نواحى التل بالخبث الردى(6)
وجاش على هذى السواحل كلها ببحر سفين بالقوارب مزبد(7)
وغص به الدين الحنيفى فاكتسى لما يشتكى من بثه ثوب مكمد
شجاه الأسى من فقد حر يهمه فكاك ذماه من يد المتمرد(8)
يقود إليه كل اصيد قارم للحم العدا مخشوشن متمعدد(9)
يجاهد في الله العظيم عدوه بإقدام ليث في الكريهة محرد(10)
يشب لظى الهيجا بقلب مشيع وكف بصير بالطعان معود(11)

واطراق ثعبان وكيد ثعالة وتصميم فهد في جرأه فرهد[12]
ويختال ما بين الصفوف كأنه عروس تهادى بين خود وخرد[13]
على كل طرف سابح ومطهم قوى القرى عبل كصرح ممرد[14]
ببيض سيوف أو بسمر مدافع مزلزلة إن يبرق السيف ترعد[15]
يلاعب أطراف الرماح كأنه صبى مع الولدان بالجوز مستد[16]
يخال مجال الحرب وجه صحيفة تسطرها خيل اللقا بالتطرد[17]
فينقط مدفاع ويشكل صارم ويكتب رمح الخط خط مجود[18]
فأين مساعير الوغى وفوارس الل ـقا ومصابيح العجاج المعقد[19]
وأين الالى صوت الصريخ اليهم ألذ وأشهى من سلافة صرخد[20]
وأين الالى قد الجسوم عليهم هباء إذا ما العرض غير مقدد
فما لهم ناموا عن الدين وارتضوا بدون حياة في هوان معبد[21]
وما لهم لم يثاروه وقد هوى به الكفر مطلول الدماء ولم يد[22]
لقد حق للاسلام إذ مات أهله وخلوه أن يدعو بويل مردد
فقدس أرواح بهم عز ركنه ونام إلى جنب المهدى الموسد[23]
وأخصب مرعاه وأشكر ضرعه وعاش بهم في خفض عيش مرغد[24]
بأسيافهم صال الهدى فتعززت جوانبه بالنصر في كل مشهد
تروح وتغدو كل يوم بشارة عليه بفتح أو بملك مجدد
إلى أن علا في الشرق والمغرب كعبه وحل حلول الشمس في كل معهد
وكرت جيوش الصبح منه ففر إذ بدا كل جيش من دجا الكفر أسود
وأهلك حزب الله حزب عدوه وطهرت الارجاء من كل ملحد
أولئك قد باعوا الاله نفوسهم فلم يستقيلوا بالنعيم المؤبد[25]
هم الصحب والأتباع من بعدهم ومن حذا حذوهم من كل هاد ومرشد[26]
هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا أجابوا لحرب أو لإنجاز موعد
وهم هجروا الأوطان والأهل فاغتدوا لقتل عدو الله في كل مرصد
وهم جاهدوا في الله حق جهاده وهم نصروا دين النبي محمد
عليه صلاة الله ثم عليهم كما هب شمال على الزهر الندى
فلما مضوا نحو الجنان ليجتنوا جناهم وعند الصبح من يسر يحمد[27]
أتى بعدهم من لا يغار على ذما ردين ولا يرثى له أن يبدد[28]
جهادهم في رم دنياهم وما لهم همة في جبر دين مقصد[29]

إذا سمعوا لغوا أصاخوا وإن دعوا لدين الهدى صدوا صدود المعرد[30]
كأن لم يكن فيهم عديد ولم يكن لهم جلد يسطو على كل أيد[31]
كأن لم يدقوا بينهم عطر منشم ولم يرتدوا منه بثوب مجسد[32]
ولم يرضعوا من أمهم أم قشعم لبان دم أن يمر يشخب ويزبد[33]
ولم تغذهم بالشرى حتى كأنه أحب إليهم من سلافة صرخد[34]
بلى مارسوا الحرب العوان وضرسوا بها كلهم ما بين كهل وامرد[35]
وما برحت حرب البسوس عليهم مدى الدهر لم تخمد ولم تتهمد[36]
كأنهم من عكفهم حول نارها يحشونها في كل غور وانجد[37]
مجوس عكوف حول بيت لظاهم يحفونها من راكعين وسجد
ولكنهم ضلوا عن القصد غفلة وجهلا بنهج الرشد لا عن تعمد
فلو نبهوا لاستيقظوا وتبصروا فمن تقيد نحو الفوز لا بد ينقد
فقم يا لسان الدين وادع إلى سبي ل ربك بالحكم الصريح المؤيد
وناد عباد الله مستصرخا وسر بسيرتك المثلى تعن وتسود
وقص لهم ما في الجهاد وما روى رواة الحديث الغض من كل مسند
وعدهم باحدى الحسنيين مبشرا فإما بنصر أو بأكرم مقعد
فأنت الامام المقتدى بفعاله وأنت الذى يرجى لهم مُهَدَّد
فقد وقع الاسلام من خوفه على بقايا بنيه في مقيم ومقعد[38]
فصار ينادى مستغيثا بأهله إلا من لعان في وثاق مقيد
ومثلك أن يسمع شكية مثله يغثه ويشكه ويسل ويسعد

---

1) الذماء كسحاب : بقية من الحياة بعد نفاذ المقاتل لا تلبث أن تنقضي.
والصريخ : المستغيث.

2) المداهن : المخادع المخاتل. والسرح : الماشية.

3) (خامرى أم عامر) مثل. وتزعم العرب أن الضبع تخدع به فيكرر لها حتى تهدأ فتوخذ. ومعنى خامرى : ألزمى مكانك. وتلبدى عطف تفسير عليه من نلبد الطائر إذا جثم ولصق بالأرض.

4) أسر : أخفى. والاحتساء الشرب. والارتغاء : ازالة الرغوة من اللبن ومعنى المثل أنه يتظاهر بازالة الرغوة ولكنه في الواقع يشرب اللبن الخالص ويضرب لمن يتظاهر بالهين ويفعل الأعظم.

5) الزبى، جمع زبية وهي حفرة تهيأ للأسد في الأمكنة العالية؛ يضرب لمن تجاوز الحد. والعر : الجرب.
6) التل في اللغة الأرض المرتفعة قليلا عما حولها. والمراد هنا (سوس) في لسان أهل الصحراء.
7) السفين : جمع سفينة.
8) شجاه : أحزنه، والأسى : الحزن. وذماه : ذماؤه. فهو الذماء قصره. ضرورة : وهو بقية الروح.
9) الاصيد : المائل العنق تكبرا. والقرم إلى اللحم : مشتهيه. والمخشوشن : متعود الخشونة. والمتمعدد : المتخلق بأخلاق قبيلة معد في الخشونة.
10) المحرد كمنبر : المغضب.
11) جسرىء.
12) ثعالة : الثعلب.
13) الخود بفتح الدال وجمعها خود بضم الخاء؛ والمفرد جمع خريدة : المرأة الحية.
14) القرى : الظهر. والعبل : الضخم.
15) تزلزل الأرض إذا أطلقت،.
16) استدى الصبى بالجون : لعب به.
17) التطرد : المطاردة أي حمل الاقران بعضهم على بعض.
18) رمح الخط إضافة إلى بلاد الخط وهي معروفة باتقان صنع الرماح. وخط مجود مفعول يكتب.
19) مسعر الحرب بكسر الميم : موقدها بشجاعته.
20) الصريخ : المستغيث. والسلافة : الخمر. وصرخد بلا لأم : بلد بالشام تنسب لها الخمر.
21) بدون حياة فيه إضافة الصفة إلى الموصوف أي الحياة الدون ومعناها الوضيعة. ومعبد بصيغة اسم الفاعل صفة لهوان : أي الهوان الذي يجعل صاحبه عبدا لغيره.
22) ثأر القتيل وبالقتيل : طالب بدمه؛ والمطلوب الدم : الذي لم يثأر له. ولم يده : لم يؤد ديته.
23) المهدى : بتخفيف همزة المهدىء. والموسد : الجاعل للوسادة.
24) أشكر الضرع امتلأ لبنا فهو شكران.
25) يشير إلى قول الله تعلى (إن الله اشترى من المومنين أنفسهم) الآية 111 سورة التوبة، بقيتها : «..وأموالهم بأن لهم الجنة.».
26) حذا حذوه : اتخذه مثالا وقدوة.
27) تلميح إلى المثل المعروف : (عند الصباح يحمد القوم السرى) أي ثمرة التعب تظهر بعد انتهائه يضرب تحريضا على الصبر للمشاق.
28) الذمار بالكسر : ما يلزم الانسان حفظه ورعايته.
29) المقصد بصيغة اسم المفعول مضعفا : المكسر.

30) المعرد بصيغة اسم الفاعل : المنحرف عن مثل الحرب كالهارب.
31) الايد : القوى.
32) يقال أنه كانت بمكة امرأة تسمى منشم بفتح الميم وكسر الشين : عطارة في مكة. وكانوا إذا أرادوا القتال وتطيبوا بطيبها كثرت القتلى فصاروا يتشاءمون بعطرها حتى ضربوا المثل (دقوا بينهم عطر منشم) لشؤمها.
33) المراد بأم قشعم هنا الحرب. ومرى الضرع يمريه إذا دلكه بيده ليدر لبنه وشخب اللبن سال.
34) الشرى : الحنظل. وصرخد : بند بالشام تنسب اليها الخمر الجيدة.
35) الحرب العوان : هي التي تكرر القتال فيها وهي أشد الحروب. شبهوا بالمرأة العوان التي ناصفت سنها فتكون بذلك على خبرة. يقال ضرسه الدهر أو الخطوب أو الحرب إذا اشتد عليه.
36) حرب البسوس : هي الحرب العربية العظيمة التي طالت بينهم طولا جعلها مضرب الأمثال.
37) حش النار : أوقدها. والغور المكان المنخفض. والانجد جمع نجد : المكان المرتفع.
38) يقال وقع فلان في المقيم المعقد : أي في الهم الذي لا يدع راحة ولا استقرارا.



الباب البحري، على مقربة من رصيف الانزال.

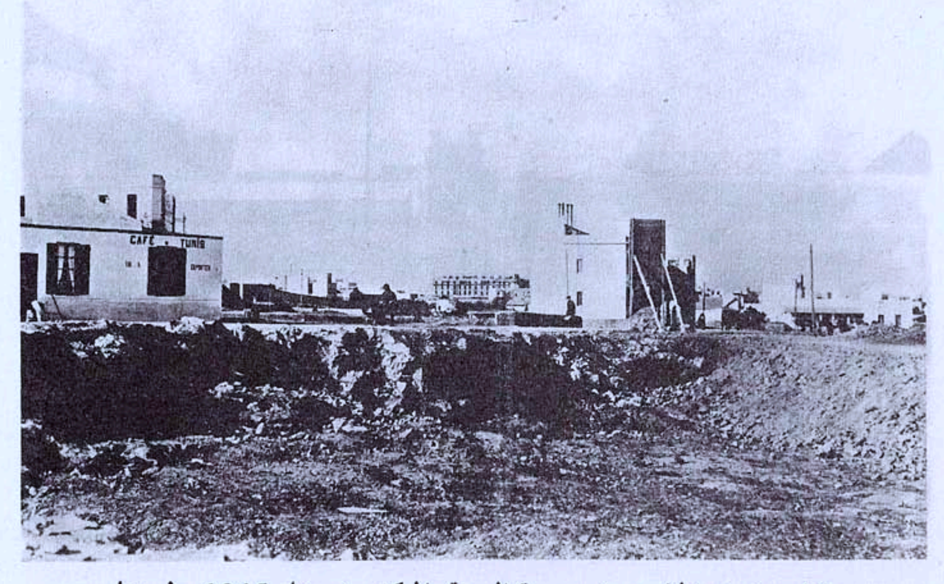


ـ شارع مولاي الحسن الأول، عام 1913 وعام 1956

- زنقة إدريس الحريزي، عام 1923 وعام 1956 (وتبدو بناية البريد المركزي وسط الصورة)

ـ شارع الحسن الثاني، عام 1916 ، وعام 1956

ـ ملتقى زنقة كراتشي وزنقة محمد سميحة، (درب عمر)، عامي 1922 و1956.



ـ شارع محمد الخامس (من جهة السوق المركزي)، عام 1915، ثم عام 1953

ـ شارع محمد الخامس (جهة البداية)، عام 1921 وعام 1956.

نــــداء

إن احتلال القوات الفرنسية والاسبانية لمدينة الدار البيضاء في 5 غشت 1907 حدث تاريخي بالغ الاهمية بالنسبة لتاريخ المغرب الحديث، فهو بالإضافة إلى مغزاه السياسي الخطير، كان منطلقا لاحتلال مراكش وفاس والاطلس وبقية المناطق المغربية.

وحدث مثل هذا في الاهمية، جدير بأن تحيي الامة ذكراه السنوية بانتظام، لاجتناء ثمرات عبره السياسية والتاريخية والحضارية، ليظل حاضراً في ذاكرة شبيبتها، فاعلاً في حاضرها ومستقبلها، عامل وقاية ومنعة ضد كل أنواع الغزو والاعتداء.

لذا أدعو ـــ بكل إخلاص ـــ، بمناسبة صدور هذا الكتيب، جماعة سيدي أبي الليوث (سيدي بليوط)، وولاية الدار البيضاء الكبرى، إلى تنظيم الذكريات السنوية لانتفاضة الشاوية واحتلال الدار البيضاء، وإطلاق أسماء شهداء الانتفاضة والشخصيات التي كانت لها بها علاقة من قريب أو بعيد، على ساحات تراب الجماعة وحدائقها وفسحاتها وأزقتها ومؤسساتها ومرافقها، وإقامة لوْحاتٍ رمزية ومآثر عمرانية وفنية في حدائقها وساحاتها تخلد الانتفاضة، وتذكر الاجيال بالاحتلال.

وتنظم بالمناسبة احتفالات شعبية ومعارض للصحف الصادرة في تلك الفترة، وتقام ندوات ومحاضرات تاريخية واجتماعية وأدبية تكشف الحجب عن أصول الانتفاضة وحقائقها وأصدائها المحلية والوطنية والقومية والدولية. وتستحضر أجواء حادث الاحتلال ومراميه الاستعمارية ونتائجه وردود فعله في الداخل والخارج، ويستدعى لذلك شخصيات متخصصة ومهتمة من المغرب ومن الخارج.

وتنظم المسابقات الثقافية، من أبحاث تاريخية واجتماعية وسياسية وقصص ومسرحيات وأشعار ونوادر المخطوطات والرسائل والخطب والوثائق، وترصد لها جوائز. وتواكب هذه الأنشطة الثقافية وسائل الاعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، مع حرصها على إعداد برامج موازية تقدم خلالها شهادات، وتجرى مقابلات مع من شهد الاحداث. وتصدر بمناسبة الذكريات كتيبات أعمال الندوات والمحاضرات ونتائج المسابقات. □

أحمد زيادي

المحتويات

صدر عن منشورات «عيون المقالات»

- مبادىء في علم الأدلة : تأليف رولان بارت، ترجمة محمد البكري
- نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب : الدكتور أمجد الطرابلسي
- سوسيولوجيا الثقافة : الطاهر لبيب
- دروس في جغرافية المناخ ـ1ـ عناصر المناخ : أحمد بلاوي
- العرب والنموذج الأمريكي : د. فؤاد زكرياء
- عصر البنيوية : إديث كيرزويل، ترجمة : جابر عصفور
- تلك الرائحة (قصص) : صنع الله ابراهيم
- رباعيات نساء فاس (العروبيات) : محمد الفاسي
- المكتبة السينمائية ـ 1 ـ التصوير : لوي دي جانيتي
- المكتبة السينمائية ـ 2 ـ الاخراج : لوي دي جانيتي
- ينابيع الثقافة ودورها في الصراع الاجتماعي : بوعلي ياسين
- الماركسية والنقد الأدبي : تيري إيجلتون، ترجمة جابر عصفور
- عبقرية الصديق (مقالات تحليلية) : مجموعة من المؤلفين
- رجال في الشمس (دراسات تحليلية) : مجموعة من المؤلفين
- الحركة السلفية : مجموعة من المؤلفين
- مدخل الى السيميوطيقا : بإشراف سيزا قاسم.
- انتفاضة الشاوية : أحمد زيادي
- الأسطورة والرواية : ميشيل زيرافا ترجمة : صبحي حديدي
- في التنظير والممارسة، دراسات في الرواية المغربية : لحميداني حميد

وسيصدر قريباً :

- الوعي الذاتي : برهان غليون
- مداخل إلى علم الجمال الأدبي : عبد المنعم تليمة
- التراث بين السلطان والتاريخ : د. عزيز العظمة
- المعرفة والجنس من الحداثة إلى التراث : عبد الصمد الديالمي.
- القصيدة المغربية المعاصرة بنية الشهادة والاستشهاد : عبد الله راجع.

طبع بـ : قرطبة دار قرطبة للطباعة والنشر ـ 10، زنقة بيرون، بلفدير ـ الدار البيضاء

إذا كان لا ينتظر من المؤرخين الاستعماريين وأذنابهم الإنصاف والنزاهة فإنني، بعد أن اطلعت على ما كتبه عبد الرحمن بن زيدان عن احتلال الدار البيضاء، وحركة المقاومة في الشاوية، أصبت بخيبة كبيرة، ووقفت على مدى تحكم المنصب الاجتماعي والسياسي للمؤرخ في ما يرويه من أخبار، وما يصدره من أحكام. وعلى مدى انجذابه نحو الزاوية الرسمية في تتبعه للوقائع والأحداث، وتلوينه لها بألوان ترضي كل المتورطين فيها ما عدا الشعب الذي يحاول باستمرار وبمشقة صنع تاريخه بنفسه، فلا يجد إلا من يعرقل مساعيه، ويقلم أظافره، وينزع أنيابه، ويشوه حركته، ويسفه أهدافه، ويسلبه كل فضل، ويحمله كل التبعات.

وقد حاولت، في أول الأمر، جمع أخبار هذه الحادثة، وما قيل فيها من قصائد وأزجال وخطب وكتابات من أفواه من شهدها عياناً، أو سمع عنها في حينها أو عاشها من قريب أو بعيد، أو احتفظ ببعض وثائقها.

لقد كان من وراء تأليف هذا الكتيب طموح علمي خالص، وغيرة وطنية صادقة بعيدة عن كل تعصب إقليمي ضيق.

وهذا الكتيب يعنى أساسا باستقراء الأسباب الحقيقية للانتفاضة، واستجلاء ظروفها واستشفاف أجوائها، واستطلاع أصدائها.

أحمد زيادي

منشورات عيون ص. ب. 6714، سيدي عثمان، الدار البيضاء 04.

الايداع القانوني 473 \ 86

الثمن : 13 درهما

طبع بـ : دار قرطبة للطباعة والنشر، 10، زنقة بيرون، بلفدير، الدار البيضاء